وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الصراع المرابطي مع القوى السياسية من خلال كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

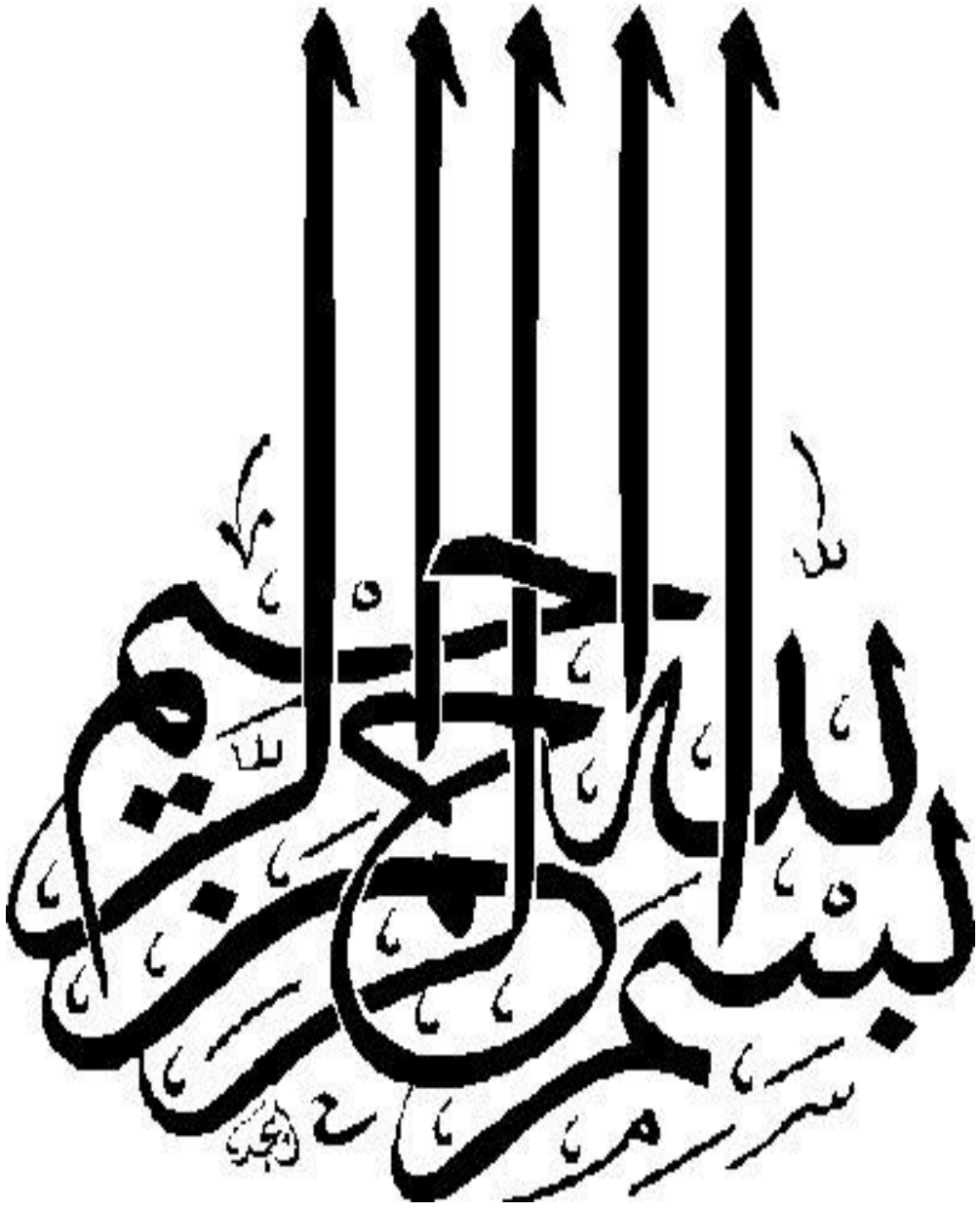
لابن بسام الشنتريني

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد:
-أحمد طايشة
-نور الدين بختي

إشراف:
الدكتور سحيري بغداد

السنة الجامعية:1442/1441هـ - 2020/2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله العلي القدير الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة في أداء هذا العمل المتواضع راجين منه أن يتقبّله خالصا بمنّه وكرمه.

مصداقا لقوله تعالى:{وإذْ تأذّن رَبُّكُم لئِن شكرتُم لأَزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد}

بدءا نتقدم بالشكر الخالص لأستاذنا المشرف "سحيري بغداد" على صبره وسعة صدره ،والذي لم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته ،فجزاه الله عنّا كل خير

كما نتقدم بالشكر الجزيل الى كل من ساندنا في انجاز هذا العمل من بعيد أو من قريب ،واخراجه في حلته الأخيرة ،كما لا يفوتنا أن نشكر كل طاقم جامعة المدية من(أساتذة ، إداريين، وموظفين).

إهداء

أهدي هذا العمل إلى روح أمي
الطاهرة طيب الله ثراها وأكرم
مثواها، وجعل الجنة مأواها.

وإلى أبي العزيز رمز المحبة
والصبر والعطاء.

وإلى جدي وجدتي أطال الله أعمارهما.

وإلى كافة الإخوة الأعزاء،
والعائلة عامة.

وإلى أصدقائي، وكل عائلة طايشة.

أحمد طايشة

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

أهدي ثمرة جهدي إلى أغلى ما أملك في الدنيا:

إلى من قال فيهما الرحمان: " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ،وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

- ❖ أمي رمز المحبة والعطاء، قمة التضحية والوفاء،ماسحة الدمع والأحزان،منبع الرق والحنان،ربيع الحياة وقارب النجاة،وخلود الذكريات.
- ❖ أبي الذي بنوره مشيت طريقي فكان وصولي، وجعل لحياتي معنى وزرع في قلبي بسمة وبعث في فؤادي بهجة.
- ❖ إلى من كانت بداية مداعبة القلم على يديه معلمي في الابتدائية .

إلى من تربعوا في سويداء القلب وكانوا بلسمها،وإلى من شغلني حبهم وكان حلمي حلمهم فساندني دعمهم إخوتي وأواتي.

إلى كل من علمني حرفا فكنت له عبدا في كل مراحل دراستي

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

بختي نورالدين

المقدمة

بعد أن دب الضعف من الناحية السياسية في العالم الإسلامي في شقه الشرقي، وساد التفكك والانحلال في الجانب الغربي، حيث قامت في الأندلس دويلات متناحرة لا تملك مقومات الدولة ، وفي المغرب ساد الاضطراب بعد زوال دولة الادارسة، وفي هذا الوقت ظهرت دولة المرابطين، التي أقامت سرحها قبيلة صنهاجة الجنوب ولعبت دورا بارزا في التاريخ الإسلامي، فاقتحمت ميدان المغرب والأندلس، وشاركت في معركة الجهاد، وأنقذت الإسلام من الانهيار، فجابهت القوى السياسية العنيدة ورصدت أعداء الدين.

وفي هذه الدراسة نتناول موضوع الصراع المرابطي مع القوى السياسية من خلال كتاب الشنتريني، وللموضوع أهمية بالغة إذ يسلط الضوء على نزاع المرابطين مع الزعامات السياسية، ومجابهتها لهم، وذلك انطلاقا من كتاب أبي الحسن علي الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .

وتكمن أهمية الموضوع أيضا في كونه يبرز أهم القوى السياسية التي جابهها المرابطون، ورصد حركتهم الجهادية، وعدم وجود الدراسات التاريخية في هذا الموضوع على حد علمنا كان دافعا لاختيارنا للموضوع، والغوص فيه ، وذلك انطلاقا من الإشكالية التالية :

- إلى أي مدى ساهم كتاب الشنتريني في إبراز الصراع المرابطي مع القوى السياسية ؟

وتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة التساؤلات وهي:

- من هم المرابطون ؟
- وماهي القوى السياسية التي جابهها المرابطون في حركتهم الجهادية ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات انتهجنا خطة بحث مكونة من العناصر الآتية : مقدمة ، وثلاث مباحث أحتوى كل مبحث على ثلاث عناصر وخاتمة .

عنونا المبحث الأول بالتعريف بالكاتب والكتاب، أما المبحث فقد عنوناه بالصراع المرابطي مع القوى السياسية بالمغرب، وذكرنا فيه تسمية وأصل المرابطين، ثم قيام الدولة المرابطية، ثم انتقلنا إلى الصراع المرابطي مع البربر.

أما المبحث الثالث فقد عنوناه بالصراع المرابطي مع القوى السياسية في الأندلس، وذكرنا فيه أوضاع الأندلس قبل مجيء المرابطين، ثم الصراع المرابطي النصراني، وأخيرا ذكرنا الصراع المرابطي مع ملوك الطوائف.

وختمنا في الأخير بخاتمة ذكرنا فيها أهم ما استنتجناه في بحثنا هذا.

دراسة و تحليل المصادر و المراجع :

و حتى تكون دراستنا موثقة اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع الخاصة بتاريخ المغرب و الأندلس ، منها ما تعلق بالسير و التراجم و الجغرافيا ، وأهم هذه المصادر هي :

- كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، وهو الكتاب محل الدراسة، اعتمدناه بشكل أساسي لاستعراض أهم الأحداث السياسية التي رافقت قيام الدولة المرابطية، وأهم صراعاتها مع القوى السياسية في كل من المغرب والأندلس.
- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لابن عذارى المراكشي (ت بعد 712هـ/1312م) يعتبر هذا الكتاب ذا قيمة كبيرة في تاريخ الاندلس و المغرب نظم في أربعة أجزاء، وقد اعتمدنا على الجزء الرابع، وأفادنا فيما يخص تسمية المرابطين ، وكذلك حركتهم للأندلس وفي المغرب ، وكذلك أخبار أمراء الدولة المرابطية .
- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في تاريخ المغرب وأخبار مدينة فاس لأبي الحسن علي بن عبدالله الفاسي (726هـ/1225 م) وهو من المصادر المهمة ، وذلك لشموله ووفرة اخباره وهذا الكتاب يضم تاريخ المغرب عموما ، وتاريخ مدينة فاس خصوصا ، وقد أفادنا

كثيرا فيما يخص الدولة المرابطية وأصلهم وتاريخ المرابطين عامة وكذلك حركتهم في المغرب واخبار ملوك المرابطين ، وانتقالهم للأندلس و صراعهم مع النصارى .

- كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي القاهري المالكي الشهير بابن خلدون (ت 808هـ/1406م)، وهو من المصادر الهامة ، وقد اعتمدنا عليه فيما يخص تاريخ المرابطين و أخبار المغرب و الأندلس .
- كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة لعبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس الصنهاجي، كذلك هو من المصادر المهمة وهو عبارة عن مذكرات ابن بلكين، اعتمدنا عليه في صراع المرابطين مع ملوك الطوائف وأخبار المرابطين بالأندلس .
- كتاب أعمال الأعلام فيما بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يتعلق بذلك من شجون الكلام، لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) من المصادر المهمة في تاريخ الاندلس، اعتمدنا عليه في أوضاع الأندلس قبل مجيئ المرابطين، وكذلك حركتهم في الأندلس .
- كتاب الحلة السيراء لابن الأبار (ت 658هـ/1260م) من عيون المؤلفات في تاريخ الأندلس، اعتمدنا عليه في ترجمة بعض الأمراء كالمعتمد و ابنه و غيرهم .
- كتاب وفيات الأعيان لمحمد بن ابراهيم شمس الدين ابو العباس المعروف بابن خلكان (ت681هـ\1282م)، يضم هذا الكتاب تراجم الاعيان بين القرن 2 و 7 واعتمدنا عليه في ترجمة ابن بسام الشنتريني و ما تعلق به من أخبار.

هذا واعتمدنا أيضا على مجموعة من كتب الجغرافيا للتعريف بالمناطق الواردة في البحث، ومنها:

- كتاب صورة الأرض لابن حوقل، عاش في القرن العاشر هجري، وهو كتاب جغرافي ، ذكر الأقاليم والبلدان على مر الدهور والأزمان، احتوى معلومات تاريخية واعتمدنا عليه في تسمية المرابطين بالملثمين، وبعض الأخبار عن المرابطين .
- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي (727هـ/1327م) وهو معجم جغرافي تاريخي ، اعتمدنا عليه في التعريف بالمدن في المغرب و الأندلس .

كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من المراجع لتدعيم البحث نذكر منها:

- كتاب المغرب و الأندلس في عصر المرابطين لابراهيم القادري بوتشيش .
- كتاب فقه التمكين عند دولة المرابطين لعلي محمد الصلابي .
- أنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الإسلامي .
- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي .

واتبعنا في دراستنا للموضوع المنهج التاريخي التحليلي وذلك لسرد الأحداث التاريخية و تحليلها و تفسيرها وهذا من خلال الوقوف على المصادر و المراجع الخاصة بالموضوع منها المتخصص والعامة.

وما من باحث إلا وتعرض طريقه عقبات وصعوبات، ومن الصعوبات التي واجهتنا، صعوبة الاتصال في ظل الوضعية الصحية التي فرضتها الجائحة، مما حال من انسجام العمل بيني وبين زميلي، وأيضا صعوبة الحصول على المصادر المتخصصة بالدولة المرابطية، بعد استحالة تحميلها إلكترونيا، وهذا ما دفعنا للاعتماد على المراجع و كذلك بعض المصادر التي لها علاقة وصلة بالموضوع .

المبحث الأول:

التعريف بالكاتب والكتاب

1. التعريف بالكاتب

2. التعريف بالكتاب

3. منهجه

يجمع الباحثون على أن موضوع "الذخيرة" لابن بسام، يعد مصدرا لا بديل عنه لمن أراد أن يرى أو يطلع على أدب المائة الخامسة ويكون على بينة منه، إذ "يتجلى له القرن الخامس الهجري ، على نحو واضح من خلال نتاج أهل الأندلس في العلم والأدب .وقد ترجم محمد رضوان الداية إعجابه بكتاب الذخيرة بقوله: "إنه أهم كتاب أندلسي في تاريخ الأدب على الإطلاق.

لم تعن المصادر بترجمة ابن بسام الشنتريني، فـ"شهرته تغني عن ذكره "كما يقول المقري432هـ/1041م،إلا أن إحسان عباس يرى أن ابن بسام "لم يكتب هو ترجمة لنفسه في "كتاب الذخيرة" على عادة بعض مؤلفي كتب التراجم، ولهذا ظلت أخباره وتفصيلاتها غير متيسرة للدارسين ." وعلى الرغم من ذلك سنورد بعض المعلومات التي بإمكانها جلاء الغموض عن حياة ابن بسام.

1. التعريف بالكاتب

1.1. الاسم والنسب :

هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني [1] ، من أهل الأندلس [2] ، نسبه إلى شنترين [3] في البرتغال الحالية، لم تحدد معظم المصادر التي تناولته تاريخ ولادته ولا ظروف نشأته و لا حتى مراحل حياته الأولى، مكتفية فقط بالإشارة إليه دون ترجمته، و اكتفت بالقول أنه":

عاصر أواخر القرن الخامس و فترة طويلة من القرن السادس "[4] و لكن علي بن محمد قد اجتهد في تحديد تاريخ مولد ابن بسام بعد استقراء ما ورد من أخبار في كتاب الذخيرة، بحيث حدده تقريبا سنة 450هـ/1058م[5] .في حين نجد أن شوقي ضيف قد زاد عشرة سنوات فقال ":ولدبها قبيل سنة 460 هـ/1068م[6] في هذه المصادر لم يتوقف الأمر عند عدم إ رادها لتاريخ مولده فحسب، بل نجد بعضها اختلفت في نسبته إلى مدينة شنترين، حيث نسبه معاصره عبد الملك بن سعيد إلى إشبلية بقوله ":كان مستوطنا إشبلية

---

[1] – ابن سعيد المغربي(ابو الحسن علي بن موسى) **المغرب في حلى المغرب، ج1،تح،شوقي ضيف،ط4،دار المعارف القاهرة2009** ، ص 418

[2] – ياقوت الحموي شهاب الدين، **معجم الأدباء**، ج 4 – ، تح، إحسان عباس، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص2

[3] – **شنترين** :مدينة متصلة الأعمال بباجة، غربي الأندلس، ثم في غربي قرطبة، على نهر تاجة، قريب من الضبابة– في البحر المحيط، وهي حصينة، بينها و بين قرطبة خمسة عشر يوما، و بينها و بين باجة أربعة أيام .ينظر :ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3 ،(د ط) ، دار صادر، بيروت، 1988 ، ص.3

[4] – محمد رضوان الداية ، **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس** ،ط2، مؤسسة الرسالة ،1981،ص 371.

[5] - علي بن محمد، **ابن بسام الأندلسي و كتاب الذخيرة، دراسة في حياة الرجل و أهم جوانب الكتاب**،(د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 ، ص: 30.

[6] – شوقي ضيف ، **عصر الدول و الإمارات ، الأندلس** ، (د ،ط) دار المعارف ،القاهرة ،1989،ص، 504 .

وأظنه منها[1] ، وبهذا يصير أبو الحسن الإشبيلي[2] ، لكن معظم المصادر التي أشارت إليه جميعها نسبته إلى شنترين ، فالمقري ذكره بقوله ":أبو الحسن بن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة [3] ولعل ما يؤكد هذا هو حزن ابن بسام على بلده شنترين بعدما سقطت في يد ألفونسو السادس القشتالي[4] سنة 484 هـ/1091م، كما أنه لم ترد آية إشارة في الذخيرة تدل على أنه ولد في غيرها، و ذكر ابن بسام قصة مغادرته لوطنه في مقدمة مصنفه فيقول": ((و علم الله أن هذا الكتاب لم يصدر إلا عن صدر مكلوم الأنحاء و فكر خامد الذكاء بين دهر متلون الحرباء، لا نتباذى من شنترين قاصية الغرب، مفلوم الغرب، مروع السرْب، بعد أن أستنفد الطريق و البلاد و أتى على الظاهر و الباطن النفاد، بتواتر طوائف الروم علينا في عقر ذلك الإقليم، وقد كنا غنينا هنالك بكرم الاكتساب، عن سوء الاكتساب، واجتزأنا بمذفور العتاد، عن التقلب في البلد، إلى أن نثر علينا الروم ذلك النظام، لو القطا ليلا لنام، وحين اشتد الهول هناك، اقتحمت بمن معي المسالك، على مهامه تكذب فيها العين الأذن، وتستشعر فيها المحن))[5].

و بخصوص عدم إيراد ترجمته في الكتب التي اهتمت بتراجم علماء الأندلس في ذلك العصر، يرى المؤرخون المعاصرون أمثال علي بن محمد أن السبب وراء ذلك قد يكون وأراء طغيان شهرته بحيث لم يشعر في ذلك الحين بالحاجة إلى التعريف به[6] ، أما محمد رضوان الداية يرى أن كتب التراجم لم تعن بابن بسام لأن كتابه أغناهم عن أخباره [7] .

---

[1] – أبي الحسن بن سعيد ، رايات المبرزين و غايات المميزين ،ط 1 ،تح ،محمد رضوان الداية ، دار طلاس دمشق ،،1987،ص62 .

[2] – علي بن محمد ، المرجع السابق ،ص20.

[3] – المقري أبو العباس شهاب الدين،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج1، تح إحسان عباس،د،ط دار صادر،بيروت 1988ص458 .

[4] – **ألفونسوا السادس** :حكم بين سنتي 1035 – م، 1065 ، عاصر عهد ملوك الطوائف و بداية عهد المرابطين ، استطاع أن يدفع حركة الإسترداد دفعا قويا، مستغلا ضعف المسلمين و إنقسامهم على أنفسهم، و حقق ما عجز عنه أسلافه ،احتل طليطلة سنة 1085 م، هزم في معركة الزلافة سنة 1086 م، ينظر :محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس ، دول الطوائف ،ط2 ،ج 2 الأندلس " دول الطوائف، ط 2 ، ج2 ، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس ، 1990 ،ص389.

[5] ابن بسام الشنتريني أبو الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،ق 1 ، مج 1 ، تح ، إحسان عباس)د.ط(، دار الثقافة، بيروت، 1998 ، ص 19.

[6] – علي بن محمد، المرجع السابق، ص،22 .

[7] – محمد رضوان الداية، المرجع السابق، ص 37

ولكن ما ذهب إليه المؤرخون بأن كتب التراجم لم تهتم بترجمة غير دامغ و لا مقنع لان هناك من العلماء و الأدباء الذين أنجبتهم الأندلس يضاهونه أو فاقوه شهرة نالوا نصيبا من الاهتمام ، بالتعريف بهم و بأخبار حياتهم.

2.1. حياته و نشأته:

ولد أبو الحسن علي بن بسام بمدينة شنترين، فهو إذا أندلسي برتغالي من أهل ولاية الغرب الأندلسية [1] ، في بيت مجد و حسب [2] ،أرتحل مع مطلع سنة (477 هـ-1084م) إلى أشبونة (**لشبونة**[3]) ، وعن وجوده في هذه المدينة يقول الطاهر مكي أنه ((يغلب على الظن أنه رحل إلى الأشبونة طلبا للعلم و بحثا عن مجال أوسع للثقافة، فليس يمكن أن نتصور غير هذا القصد)) [4]

وبعد سقوط شنترين حوالي سنة 486 هـ/1093م، شد الرحال نحو إشبيليا، وهذا ما نقف عليه من خلال وصفه لخروجه من مدينته حيث يقول:((حتى خلصت خلوص الزبرقان من إسراره، و فزت القدح عن قماره، فوصلت حمص[5] بنفس قد تقطعت شعاعا و ذهب أكثرها التياعا)) [6] .

لقد أطال ابن بسام المكوث في إشبيلية، بحيث يحدد شوقي ضيف الفترة التي قضاها بها بسبعة و عشرين عاما [7] ، قام من خلالها بالتعرف إلى رجال الدولة و علمائها وحتى حضور مجالسهم، فقد أورد الكثير من أخبار المعتمد و رواد مجالسهم، و يبدوا أنه مارس نشاطا سياسيا في عهد المرابطين وهذا ما يفهم من قوله ((وأنا يومئذ بإشبيليا أنصرف مضطر في بعض الأعمال السلطانية"[8]

ويرى شوقي ضيف أنه ربما بدا العمل السياسي في عهد المعتمد بن عباد وواصله في عهد المرابطين[9] .

---

[1] – محمد عبد الله عنان، **تراجم إسلامية شرقية و أندلسية**، ط 2 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1970 ، ص299

[2] – آنخل جنتالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الإسلامي**، ط2 ، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص296

[3] –كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**،ج 6، تر، عبد الحليم النجار، ط 5 ، دار المعارف، القاهرة، ص. 108 :

[4] – الطاهر مكي، **دراسة في مصادر الأدب**، ج 1 ، ط2 ، دار المعارف، مصر، 1970 ،ص319

[5] – حمص :هي مدينة إشبيلية، قال ابن بسام في الذخيرة " دخل جند حمص إلى الأندلس فسكنوا إشبيلية فسميت بهم"، ينظر :ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 4 ، ص. 244 :

[6] – ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق 1 ، مج1 ، ص: 19

[7] – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص. 505

[8] – ابن بسام الشنتريني،المصدر السابق، ق 4 ، مج1 ، ص2

[9] – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص505

و المرجح أن ابن بسام وفد على قرطبة للمرة الأولى سنة 494 هـ /1100م[1] ، حيث يقول ":كنت بحضرة قرطبة أول سفري إليها سنة أربع و تسعين "[2] و فيها بدأ في تأليف كتابه الذخيرة إذ يقول ":**ولما ابتدأت بتحرير هذا الكتاب و أنا يومئذ بقرطبة**"[3] و يتضح من خلال ما أورده من أخبار في كتابه أنه كان يحي حياة طيبة، فهو هنا يحضر مجالس الأعيان في قرطبة، و يجري الحديث فيها عن الأدب فيثنى على واحد من الأدباء القرطبين، و يشكره ذلك الأديب و يمدحه بالشعر و النثر. [4]

لقد نشأ ابن بسام و عاش في عصر مؤلم من عصور التاريخ الإسلامي، وهو أواخر عصر ملوك الطوائف، و أوائل الفتح المرابطي، عصر يتخلله الفتن و الحروب المتوالية، زيادتنا على ذلك الانحلال و الفوضى، ورغم كل هذا إلا أنه كان عصرا ازدهرت فيه العلوم و الآداب بحق[5] .

3.1. وفاته:

يعتبر تاريخ وفاته هو الأخر عرف تجاهلا من قبل المصادر المعاصر له لأسباب نجهلها، فالمقري يقول":**وتأخرت وفاته إلى سنة اثنين و أربعين و خمسمائة** [6]، هذا التاريخ اعتمدته أغلب المراجع الحديثة، في حين أن جنثالث بالنثيا يذكر أنه توفي حوالي 541هـ، 542 هـ1046م،1047م[7]، دون أن يرجح احد التاريخين.

أما عن مكان وفاته فيميل محمد بن علي إلى الاعتقاد أن ابن بسام قد عاد إلى بلده شنتريتن و توفي بها و هذا أثناء سقوطها الثاني و النهائي على يد الإسبان و خروجها نهائيا من دولة المسلمين، فكان تاريخ سقوطها الثاني سنة 542 هـ 1147 /م [8] وهو نفسه تاريخ وفاته.

---

[1] – آنخال جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص296

[2] – ابن بسام الشنترين، المصدر السابق، ق 2 – ،مج2 ، ص53

[3] –ابن بسام ، المصدر نفسه ،ق 3 ،مج2 ، ص654

[4] – علي بن محمد ،المرجع السابق ،ص19.

[5] – محمد عبد الله عنان ،المرجع السابق ،ص300-301 .

[6] – المقري ، المصدر السابق ،ص،458.

[7] – آنخال جانثالث بلينثيا ، المرجع السابق ،ص300.

[8] – علي بن محمد ، المرجع السابق ،ص28.

4.1. مؤلفاته :

لقد ألف ابن بسام كتبا عديدة، و لكن كتابه الذخيرة هو الذي حاز على نصيب أوفر من الاهتمام من قبل الدارسين[1] ، فكثيرا ما ارتبط اسمه بهذا الكتاب، بحيث يقول رضوان الداية في هذا الصدد ":**وإذ ذكر ابن بسام فإنما هو الذخيرة، و إليه الحديث**"[2] و قد ذكر ابن بسام في كتابه الذخيرة مجموعة من الكتب قام بتصنيفها و هذه الكتب كالآتي:

– كتاب الاعتماد على ما صح من أشعار المعتمد بن عباد .

– كتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل .

– سلك الجواهر من نواد ترسل ابن طاهر.

– نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار .

وذكرت هذه الكتب في قول ابن بسام ":**فجمعت شعره (يقصد الأديب أبا محمد عبد الجليل بن وهبون)على حروف المعجم في تضيف ترجمته ب (كتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل)، و كذلك فعلت في سائر أعيان الوزراء الكتاب، لم يتسع لاستفاء محاسنهم هذا الكتاب، فجمعت في تأليف ترجمته ب (سلك الجواهر من نوادر ترسيل ابن طاهر)، وفي تصنيف رابع و سميته ب (كتاب الاعتماد على ما صح من أشعار المعتمد بن عباد)،و في كتاب خامس ترجمته ب(كتاب الاعتماد على ما صح من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار ....) فاستوفيت في هذه التواليف لكل فرقة مرادها و خلصت لها موادها، إن شاء الله .**"[3]

إلى هذه المصنفات يضيف بالثيا مصنفا آخر ":**مجموعا من شعر الهجاء الذي قاله ابن بسام نفسه معالم يذعه في الناس** "[4] ، غير أن هذا المصنف لم يرد منفصلا و إنما ورد ضمن مصنف أمام ابن بسام ب ": **ذخيرة الذخيرة** "يتضمن شعراء طوائف من الشعراء الهجائيين [5] ، و ابن بسام نفسه يؤكد بخصوص هذا

[1] – علي بن محمد ، المرجع نفسه ،ص75.

[2] – محمد رضوان الداية ، المرجع السابق ،ص371.

[3] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق2، مج1 ،ص477.

[4] – آنخال جانثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص296 .

[5] – علي بن محمد ، المرجع السابق ،ص77.

الكتاب أثناء حديثه عن الشاعر ابن صارة الشنتريني [1] حيث قال "**:ولقد رأيت له عده مقطوعات في الهجاء تربي على حصن الدهناء، وهو فيه صائبين السهم، نافد الحكم، طويت عليه كشعا، وأضربت عن ذكره صفعا، و ربما ألمعت منه بالأقل، لترى فتستدل ولو استنجزت أن أثبت في هذا الكتاب، بعض ماله في هذا الباب، لتحقيق أنه بالجملة بائقه محاجاة، و صاعقة مهاجاة، وقد كتبت في ذلك في كتابي المترجم ب " ذخيرة الذخيرة "جملة موفورة، له ولطوائف كثيرة** [2] .

وهناك مصنف آخر لابن بسام هو "**سر الذخيرة**" ذكره في فصل عقده لحسام الدولة أبي مروان بن رزين [3] بقوله في :" **ولو ألمعت في هذا الكتاب (يقصد الذخيرة) بشيئ من التغيير ،لإجتلبت كل ما قيل فيه ، ولنشرت ما خفى على ذي الرياستين من مطاوية ، وقد ذكرت من ذالك جملة موفورة في كتاب " سر الذخيرة "**[4] .

بيد أن الكتاب الذي أداع اسم ابن بسام الشنتريني ووصل إلينا هو كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة [5] ، وهذا سيأتي الحديث عنه بالتفصيل لاحقا

2. التعريف بكتاب الذخيرة

لقد وضع ابن بسام عنوان لمؤلفه :ينسجم و محتوياته و يعكس ما يضمه بين دفيته، فالعنوان الذي وضعه أبو الحسن لمصنفه هو " الذخيرة في محاسن **أهل هذه الجزيرة** "، و لم يضع هذا العنوان على الغلاف الخارجي للمصنف، بل اكتفى بذكره في الإفتتاحية بقوله "**:وقد أودعت هذا الديوان الذي سميته بكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة من عجائب علمهم و غرائب نثرهم و نظمهم.** [6] "

و بخصوص العنوان و اسم الإشارة الذي ورد فيه" **هذه** "اقترح على بن محمد على طه حسين وقت إشرافه على تحقيق الكتاب بحذفها باعتبار أنها كانت تعني شيئا أيام ابن بسام، عندما كانت الأندلس تحت

---

[1] – ابو عبد الله بن **محمد بن صارة** البكري الاندلسي الشنتريني شاعر و أديب ، كان ماهرا وناضما ، ينضر ابن خلكان أبى العباس شمس الدين ، وفيات الاعيان ،ج3،تح نإحسان عباس ،دار صار ،بيروت ،1978، ص93 .

[2] – ابن بسام الشنتريني :المصدر السابق ، ق2، تج2 ،ص835.

[3] – هو مروان عبد الملك **بن رزين** ، ورث الملك من أسلافه الملوك وله في الشعر ، ينضر ابن دحية ابن الخطاب عمر بن الحسن ، المطرب من أشعار اهل المغرب (د،ط) ،تح ، ابراهيم الابياري ،دار العلم للطباعة ، ص39.

[4] – ابن بسام الشنتريني ، المرجع السابق ،ق3، مج1،ص117.

[5] – آنخال جانثالث بالنثيا ، المرجع السابق ،ص297 .

[6] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ،ق1 ،مج 1،ص14.

الحكم الإسلامي، أما الآن فإنه لم يبقى لها أي معنى[1] ووافقته لجنه التحقيق على ذلك، فأصدرت الأجزاء التي حققتها جامعة القاهرة تحت العنوان المتداول دون اسم الإشارة ، و حتى الطبعة التي حققها إحسان عباس وهي– الطبعة التي اعتمدت عليها– أسقطت منها هي الأخرى اسم الإشارة من العنوان.

ونجد في معظم المصادر التي أشارت إلى الكتاب قد ذكرت العنوان دون اسم الإشارة، فرضوان الداية هذا يقول ":**سمى ابن بسام كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ."[2]

وعن مضمون الكتاب اقتصر ابن بسام الشنتريني في كتابه على أعلام القرن الخامس هجري / الحادي عشر الميلادي ذلك لأن أعلام الدولتين المروانية و العامرية تناولهم ابن فرج الجياني في كتاب الحدائق فهو يقول ": **أضربت عما ألف، ولم اعرض– لشيء مما صنف، و لا تعديت أهل عصري، مما شاهدته أو لحقه بعض أهل عصري، إذا كل مردد ثقيل، و كل متكرر مملول** "[3] و يمضي ابن بسام في مقدمّة " **الذخيرة** "فيقول ":**و اعتمدت المئة الخامسة من الهجرة**"، فشرحت بعض منها، وجلوت وجوه فتنها، وأحصيت علل استلاء طوائف الروم على هذا الإقليم الأندلس، وألمحت بأسباب التي دعت ملوكها إلى قلعهم و إجتثات أصلهم و فرعهم، و عولت في معظم ذلك على تاريخ أبي مروان بن حيان "[4] .

أما عن تاريخ و مكان التأليف الكتاب، فقد أورد ابن بسام العديد العديد من الإشارات التي يمكن من خلالها معرفة تاريخ التأليف، حيث نلمس ذلك من خلال حديثه عن أبي بكر بن الأفلح ":**ومد لأبي بكر هذا في العمر و عاش إلى وقت التحرير هذا المجموع سنة خمسمائة**"[5] و هذه إشارة على أنه في عملية تحرير المصنف في هذه السنة 500 هـ/1106م، وقد ذكرنا تاريخا آخر حين تحدث عن أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال بقوله ":**كنت قد انفردت لتحرير هذه النسخة (القسم الثالثة)من هذا المجموع في شهور سنة ثلاث و خمسمائة.** [6] "

---

[1] –علي بن محمد ، المرجع السابق ، ص128.

[2] – محمد رضوان الداية ، المرجع السابق ،ص372.

[3] – امين توفيق الطيبي ، **ابن بسام الشنتريني وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،مجلة الحياة الدولية رقم عدد12838، تاريخ النشر 1998،من4-28 .

[4] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ،ق1 ،مج ،1 ،ص15،17 .

[5] – ابن بسام: المصدر نفسه ، ق2 ،مج ،1 ،452.

[6] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ،ق3 ،مج،2 ،ص787.

بينما نجد علي بن محمد قد ذكر سنة 503 هـ/1109م هو تاريخ الفراغ من التأليف مدعما حجته بأن مدينة شنترين قد استرجعها المرابطين في سنة 504 هـ/1110م [1] و لكننا لم نلمس أي إشارة في الذخيرة تدل على استرجاع المرابطين لشنترين، ولو أنه لم ينته في هذا التاريخ من جمع كتابه لكان قد أشار إلى هذا الحدث العظيم في كتابه.

ويشير بالنثيا على أن التصنيف قد كان سنة 502 هـ / 1108 م بإشبيليا [2] دون أن يحدد تاريخ الإنتهاء منه وكما ذكرنا سابقا أنه بدأ عملية التحرير بقرطبة و انتهى بإشبيليا مع نهاية سنة 503هـ، لكن قبل عملية التحرير هذه قد واجه ابن بسام صعوبات عديدة، منها صعوبة جمع المادة بحيث يحدد ذلك في قوله ":**على أن عامة ما ذكرته في الديوان لم أجد له أخبار موضوعة، ولا أشعار مجموعة، تفسح لي الطريق الإختيار منها، و إنما انتقدت ما وجدت،و خالست في ذلك الخمول و مارست هنالك البحث الطويل و الزمان المستحيل حتى ضمنت كتابي هذا من أخبار أهذا هذا الأفق، ما سأربي به على أهل المشرق**[3] .

بالإضافة إلى هذا واجه ابن بسام صعوبات أخرى لجمع مادته تتمثل في صعوبة قراءة المادة لرداءة خط أصحابها و التنقل إلى مصادر متفرقة، فهو يقول ":**فإن ما جمعته بين صعب قد ذل، و نشاط قلا هل، و شباب ودع فاستقل من تفاريق كالقروف الخالية و تعلق كالأطلال البالية بخط جهال كخطوط الراح أو مدرج النمل بين مهاب الرياح، ضبطهم تصعيف، ووضعهم تبديل و تحريف، أيأس الناس منها طالبها، و أشدهم**

استرابة بها كاتبها، ففتحت أنا أقفالها، و فضضت قيودها و أغلالها فأضحت غايات تبين و بيان، ووضعت آيات حسن و إحسان [4] و يتضح أيضا في بداية قوله أنه قد تقدم به السن .

3. منهج تأليفه للذخيرة:

لقد اتبع ابن بسام في تأليف الذخيرة منهجا خاصا، حيث اعتمد في التعريف بأخبار ملوك الجزيرة و سرد قصصهم المأثورة، ووقائعهم المشهورة على ابن حيان، و ينقل عنه ما سطر، وأنه عول تاريخه الكبير في أكثر ما

---

[1] – علي بن محمد ، المرجع السابق ،ص135 .

[2] – آنخال جانثالث بالنثيا ، المرجع السابق ،ص297 .

[3] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ،ق1 ،مج ،1 ،ص16.

[4] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر نفسه ،ق1 ،مج ،1 ،ص15.

يكتبه في هذا الباب، ولذلك إعفاء لنفسه من المسؤولية[1] ويقدم إلينا ابن بسام شخصياته ما بين خلفاء وأمراء ووزراء و كتاب و شعراء عاشوا في عصر ملوك الطوائف، وأوائل عصر المرابطين بترجمات ضافية و مفصلة، تعتمد على سرد جوانب كثيرة من إبداعاتهم الشعرية و النثرية، و يذكر ابن بسام أنه لم يفسح المجال في ذخيرته لأدباء الدولة المروانية ولا العامرية و ذلك لأن أحد أدباء الأندلس وهو ابن فرج الجياني وضع " كتاب الحدائق "عرض فيه محاسن أهل زمانه، فقد هدف ابن بسام من ذلك إلى عدم ت كرار ما سبق إليه الجياني و غيره، وأن يترجم لعدد من الأدباء في عصره هو، فلم يعرض لحد من ذكره، ولم يتعد أهل عصره مماشا هذه بنفسه، أو لحقه بعض أهل دهره[2].

ولم يقم ابن بسام بترتيب تراجمه على حسب السنين إلا في الجزء الخاص ببطلبوس و ما يصاقبها، وانما رتبها حسب مكانة المترجم في رأي ابن بسام وهو يبدأ عادة بترجمة العلم المراد في نثر بديع مسجوع، ثم يذكر مؤلفات من يترجم له و يطرى مواهبه الأدبية، تم يورد مقتطفات من شعره و نثره[3].

جعل ابن بسام كتابه الذخيرة في أربعة أقسام على النحو التالي:

– **1القسم الأول** :خصصه" لأهل قرطبة [4] وما يقابلها من بلاد موسطة الأندلس، و يشمل من الأخبار و أسماء و أعيان الكتاب و الشعراء على جماعة.

– **2القسم الثاني** :جعله " لأهل الجانب الغربي من الأندلس، وذكر أهل حضرة إشبيليا وما اتصل من بلاد ساحل البحر الرومي ، و فيه من الأخبار و أسماء الرؤساء و أعيان الكتاب و شعراء جملة موفورة.

– **3القسم الثالث** :فقصره على " أهل الجانب الشرقي من الأندلس، ومن نجم من كواكب العصر في أفق ذلك الثغر الأعلى، إلى منتهى كلمة الإسلام هنالك، وفيه من القصص و أسماء الرؤساء و أعيان الكتاب و الشعراء طوائف."

– **4القسم الرابع** :فقد أفرده" **لمن طرأ على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من أديب شاعر، و آوى إلى ظلها من كاتب ماهر و اتسع فيها مجاله و حفظت في ملوكها أقواله ووصلت بهم، ذكر طائفه من مشهوري أهل تلك الأفاق ممن نجم في عصرنا بأفريقية و الشام و العراق فيشمل منهم على جملة"**

---

[1] – محمد عبد الله عنان ،المرجع السابق ،ص303.

[2] – شوقي ضيف ، المرجع السابق ،ص507.

[3] – آنخال جانثالث بالنثيا ، المرجع السابق ،ص299 .

[4] – **قرطبة** :مدينة تقع على سفح جبل، تشرف على نهر الوادي الكبير، سهولها خصبة تكثر فيها ز ا رعة الزيتون، وهي عاصمة الدولة الأندلسية، ينظر :ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج4 ، ص324.

إن هذا التقسيم الذي اتبعه ابن بسام في تأليف ذخيرته يشبه تقسم الثعالبي لكتابه" **يتيمة الدهر** "في العديد من الجوانب، فقد اعتمد نفس أسلوبه في التأليف والتقسيم، من خلال هذا إرتئ طه حسين أن من بين أسباب التي دفعت ابن بسام لتأليف كتاب الذخيرة هو حرصه على تقليد كتاب اليتيمة الذي ص ور فيه مؤلفه الثعالبي أدب معاصريه من الشعراء و الكتاب[1] ، في حين يرى رضوان الداية أن هذا التقليد لا يتعدى القسم الأخير[2] وكتاب الذخيرة يشبه كتاب " يتيمة الدهر "في عدة وجوه منها :التأليف و التأنق في التعريف بالشعراء، و الترجمة لهم، رابطا بين الأدب و الأحوال السياسية و الاجتماعية[3] ولكن الباحث مصطفى عليان، يرى بأن ابن بسام مميزا على الثعالبي سواء في عدد من تراجم لهم أو في طريقة هذه الترجمة أو في عدد النصوص و قيمة الملاحظات الواردة عليها[4] ، ومن جهة أخرى لم يكتف ابن بسام بالأخبار المقتضبة، و الملاحظات العارضة وانما يقف وقفات طويلة يعرض فيها لتفاصيل موثقة دقيقة ذات فائدة في التعريف إلى أمزجة المؤرخ لهم[5] .

وليس عليان عبد الرحيم وحده من يؤكد على تفوق ابن بسام و تميزه في الذخيرة، فحتى علي بن محمد ذكر أن أبا الحسن قد اطلع على اليتيمة ووقف عند عديد نقائصها و حاول تجاوزها[6] ، فابن بسام لجأ إيراد المعلومات الشعرية بسياقاتها التاريخية و الاجتماعية ليسهل على القارئ عملية الفهم، و يبعده من الملل.

من بين الأسباب التي دفعت بابن بسام لتأليف كتابه الذخيرة هو الغيرة الشديدة على بلاده و امتعاضه لما يلاقيه أدباءها فيها من إعراض مواطنهم و عدم الاهتمام بما ينظمون من شعر، وما يكتبون من نثر لتعلقهم الشديد بكل ما يأتيهم من المشرق إنصرافهم الكامل إليه و انشغالهم به عن كل ما تعج به بلاد الأندلس من النظم الرائع والنثر الرفيع. [7]

و ابن بسام نفسه يعلن هذا السبب في مقدمة وأجزاء متفرقة من كتابه قائلا" : **واخذت نفسي ما وجدت من حسنات دهري و تتبع محاسن أهل بلادي و عصري، غيره لهذا الأفق الغريب أن تعود بدورة أهله، و تصبح بحاره ثمادا ضحلة، مع كثرة أدبائه ووفور علمائه، و يارب محسن مات إحسانه قلبه، و ليت**

[1] – علي بن محمد ، المرجع السابق ،ص142 .

[2] – رضوان الداية ، المرجع السابق ،ص 373.

[3] – علي بن محمد ، المرجع السابق ،ص144 .

[4] – مصطفى عليان ، تيار النقد الأدبي في الاندلس ،ط1 مؤسسة الرسالة ،بيروت 1984،ص645.

[5] –مصطفى عليان: المرجع نفسه ،ص646 .

[6] – علي بن محمد ، المرجع السابق ،ص144.

[7] – علي بن محمد ، المرجع نفسه ،ص 13.

شعري من قصر العلم على بعض الزمان و خص المشرق بالإحسان"[1] و ابن بسام لم يغفل على امتداد كتابه أيه فرصة تواتيه ليسجل تفوق الأندلسيين على المشارقة. [2]

فالأندلسيون كانوا منجدبين إلى كل شرقي ، مهملين بذلك نتاج أرضهم من أطايب الأدب وأفانينه، فقد كان في الأرض الطيبة آنذاك ":**فرسان الفنيين، وأئمة النوعين، قوم هم ما هم طيب مكاسر، و صفاء جواهر، و عذوبة موارد و مصادر..** [3] ".

وتقليد الأندلسيون للمشارقة في نظر عتيق عبد العزيز ليس أمرا سلبيا منظورا إليه من باب التقليد الأعمى والتبعية و العجز عن الابتكار و الإبداع، وانما يمكن أن نعطيه تفسيرا آخر أكثر إيجابية، فقد مضت الحارة الأندلسية تبني نفسها على قوالب مشرقية بدافع التنافس و لا الرغبة في تجاوز الموجود، وانما هو باعث يتمثل في الرغبة في ربط الوطن الجديد بالوطن الأم، والشعور بالانتماء الدائم إلى الأصل العربي، وأن يكون نسيج حضارة الأندلسين، من نفس نسيج خيوط حضارة المشرقين. [4]

و يضيف أحمد ضيف حول فكرة الانتماء بقوله ":و كثيرا ما كان الشعراء في الأندلس يرجعون في أساليبهم و أفكارهم إلى الأساليب البدوية لأن العرب من أشدهم عصبية و حنينا إلى وطنهم و عيشتهم الأولى.. [5] .فابن بسام تفطن للأمر ودعا الأندلسيين بإمعان نظرهم في براعة انتاجهم و تفوق أدبائهم حيث قال في هذا الصدى": **إن أهل هذه الجزيرة من كانوا رؤوساء خطابة، ورؤوس شعر و كتابة، أنه من– حقهم على مواطنيهم أن يتباهوا بأدبهم، وأن يتذوقوه و عندئذ سوف يشعرون بأن الإحساس ليس محصورا على أهل المشرق"**[6] .

ومن الواضح أيضا أن ابن بسام أراد أن يعارض بكتابه في محاسن أهل الجزيرة، أي جزيرة الأندلس، أديب المشرق الكبير أبي منصور الثعالبي صاحب، **يتمة الدهر في محاسن أهل العصر** "فاليتمة و الذخيرة بذلك صنوان، يدعوا كل واحد منهما إلى تذوق محاسن قطره. [7]

---

[1] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ،ق1 ،مج ،1 ،ص11.

[2] – الطاهر مكي ، المرجع السابق ،ص57.

[3] – ابن بسام الشنتريني ،المرجع السابق ،ق1 ،مج1 ،ص 11.

[4] – عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ط2 ، دار النهضة العربية، بيروت ،ص164.

[5] – ضيف أحمد ، المرجع السابق ،ص166.

[6] – عبد الله عنان ،المرجع السابق ،ص302.

[7] –عبدالله عنان :المرجع نفسه ،ص302.

تكمن أهمية الكتاب في كونه يشمل على مئة و خمسة و أربعين ترجمة ضافية و مفصلة ولم يكتف ابن بسام بإيراد الترجمة و نماذج من عملها الأدبي شعرا و نثر فحسب، بل عمد إلى تدعيمها بالكثير من الدقائق التاريخية و حتى التفاصيل الاجتماعية و هذا ما يوضعه في مقدمته حيث يقول ":**و تخللت مما ضمنته من الرسائل و الأشعار بما اتصلت به أو قيلت فيه من الوقائع و الأخبار**" [1] وقد استعان على ذلك بمؤرخ عصر الملوك الطوائف ابن حيان (377هـ-469هـ/987مـ_1076م) في كتابه المتين، الذي لم يصلنا وفيه تناول ابن حيان تاريخ الأندلس على عهد ملوك الطوائف ، و تبقى الذخيرة في غياب كتاب المتين مصدرا تاريخيا أساسيا يلم بمرحلة من أهم مراحل التاريخ الأندلسي، و اعتماد ابن بسام على ابن حيان يدل على ثقته الكبيرة في هذا المؤرخ بحيث يتحدث عنه في مقدمته قاتلا ":**و اعتمدت المائة الخامسة من الهجرة، فشرحت بعض محنها، و جلوت وجوه فتنها ...وأحصيت علل إستلاء طوائف الروم ...و عولت في معظم ذلك على تاريخ أبي مروان بن حيان، فأوردت فصوله ونقلت جمله و تفاصيله .**"[2]

كما أن هنري بيريس يرى بأن الكتاب يعتبر بالنسبة لعصر الفتنة و ملوك الطوائف وثيقة أدبية و تاريخية قيمة جدا، و فيه لم يقتنع ابن بسام بذكر الأخبار و رواية الأشعار لكل من عرض لهم من الكتاب و الشعراء. وإنما قدم لهم أصناف إليهم صفحات مطولة أحداث عصرهم التاريخية نقلها، أو الجانب الأكبر منها، من كتاب(المتين) ابن حيان. [3]

[1] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ،ق1،مج1،ص18 .

[2] – ابن بسام الشنتريني ، المصدر نفسه ،ق1،مج2،ص18 .

[3] – هنري بيريس، **الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف** ، ترجمة أحمد مكي،ط ، 1 دار المعارف، القاهرة، 1988 ، ص56 .

المبحث الثاني:

الصراع المرابطي والقوى السياسية في المغرب

1. دولة المرابطين
2. إعلان قيام دولة المرابطين
3. النزاع المرابطي البربري

1. دولة المرابطين

1.1. التسمية والأصل .

تباينت رؤى المؤرخين حول اسم المرابطين و أصلهم ، إذ يشير بعض المؤرخين إلى أن سبب تسميتهم بالمرابطين يعود إلى لزومهم الرباط [1] الذي أنشأه عبد الله بن ياسين في أعالي نهر السنغال وذلك بعد أن أجتمع له نحو ألف من تلامذته من أشراف صنهاجة[2] فسماهم المرابطين.[3] بينما أرجع بعضهم الأخر سبب هذه التسمية إلى بعد خروج أنصاره من الرباط إلى لقتال القبائل المناوئة لدعوته وغزوها في إحدى المعارك، وبعد تحقيقهم للنصر المؤزر أطلق عليهم اسم المرابطين افتخارا و تعزيزا و تكريما لصبرهم وجهادهم [4] .

و عرف المرابطون أيضا بالملثمين ' وذلك نسبة إلى اللثام الذي يضعونه على وجوههم ، كما يذكر ذلك صاحب مؤلف الاستقصاء، وإنما قيل لهم الملثمون لأنهم يتلثمون و لا يكشفون وجوههم أصلا ، وارجع سبب اتخاذهم لهذا اللثام هو أنِ حِمْير كانت تتلثم لشدة الحر و البر عند الخواص منهم ، وعندما كثر ذلك ، صار يضعه عامتهم [5] .

---

[1] – **الرباط** : حصن حربي يقام في الثغور للذود عن ديار المسلمين ، علي محمد الصلابي ، **دولة المرابطين في الشمال الإفريقي** ، دار المعرفة ،ط 3 ،بيروت 1430هـ –2009م ،ص49 .

[2] – **صنهاجة** :بكسر الصاد وقد تضم ، هم أكثر أهل المغرب لهذا العهد ،لا يكاد قطر من أقطاره يخلوا من بطن من بطونهم في جيل أو بسيط ، حتى قد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر ، ينظر ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ، ص215.

[3] – ابن أبي زرع الفاسي (أبو الحسن علي ابن عبد الله) ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ دولة فاس** ،تح ، دار المنصور ، صور للطباعة ، الرباط ، د ط ،1972 ، ص125 .

[4] – ابن عذاري المراكشي ، **البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب** ،تح إحسان عباس ،دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ،ج4 ،ص12.

[5] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تح ،جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ،ج2 ،ص4 .

كذلك يقول: المؤرخ أن سبب اتخاذهم للثام ، وملازمتهم له هو تبركا لما حصل لهم من الظفر بالعدو[1] ، ويقول ابن حوقل أن اللثام يتخذونه منذ طفولتهم وينشئون عليه ، وذلك لزعمهم أن الفم سوءة تستحق الستر كالعورة لما يخرج منه [2]،

أما عن أصلهم فقد تضاربت الروايات التاريخية فهناك من يقول أن أصلهم حميري ، وهو ما أجمع عليه أغلب المؤرخين ، ومنهم ابن أبي زرع الذي يقول :بأن << ...صنهاجة، فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حِمْير يمانيون ... >> [3] ، وهو أصل عربي من اليمن ، والمرجح أن هذا الاسم حمل تغييرا في دلالته تبعا لتطور الحركة للمرابطين ذاتها، فقبل انتقال المرابطين إلى مرحلة الدعوة ، أطلق هذا الاسم على مجموعة من الرواد المالكيين الذين كانوا يقصدون مدرسة واجاج بن زلو اللمطي[4] المعروف بدار المرابطين ، ومعلوم أن عبد الله ابن ياسين الجزولي [5] مؤسس الدولة المرابطية تخرج من هذه المدرسة ، وبعد أن تمكن من دخول بلاد الأندلس ، وغزتهم أضواء مدينتها وحضارتها ،أصبح الاسم يرمز إلى الملك و الجاه ، كما كان يطلق أيضا على كل من أخلص للدولة أو حقق لها انتصارات مظفرة في معارك الجهاد ، فصار مصطلح المرابط بمثابة وسام شرف عسكري

---

[1] – أبو العباس احمد بن خالد الناصر ، المصدر نفسه ،ص5 .

[2] – ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي) : **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د ط ،1926 ،ص100 .

[3] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص121 .

[4] – **واجاج بن زلو اللمطي** : ويسميه ابن خلدون بمحمد وكاك (ابن خلدون ، **العبر** ،ج6 ،ص182)،من أهل السوس الأقصى ،رحل إلى القيروان وأخذ العلم عن الشيخ أبو عمران الفاسي ،وعاد إلى السوس حيث بنى دارا في مدينة نفيس للعلم و دراسة القرآن ، سماها دار المرابطين ،كما جاء في **الاستقصاء** 1 ،ص 99 ، ابن عذاري :**البيان المغرب** ،ج 4،ص8 ، و البكري ،**المغرب** ،ص160 .

[5] – **عبد الله بن ياسين الجزولي** : بن مكوك بن سير بن علي الجزولي في قرية تماماناوت في طرف صحراء غانة و أمه تدعى ستينايزمارن من جزولة .سعدون ، .عباس نصر الله ،دولة المرابطين في المغرب و الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين ،ط1 ، دار النهضة العربية ، لطباعة و النشر،بيروت ، 1985 ،ص21 .

يمنح لكل من خدم الدولة [1] ، و يخبرنا ابن خلدون << أنهم كانوا على دين المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام >> . [2]

2. إعلان قيام دولة المرابطين .

بدأت بوادر الدولة المرابطية في الظهور بعدما كونوا أول حلف صنهاجي ، ضم أهم قبائل صنهاجة ، بزعامة أمير لمتوني تلاكاكين [3] ، الذي بلغت سلطته شانا عظيما ، وكانت أزيد من عشرين مملكة من ممالك السودان ، تؤدي له الجزية بانتظام كما جاء في النصوص [4] . ودامت أيامه وطال عمره نحو ثمانين سنة حتى توفي سنة اثنتي و عشرين و مائتي 222هـ/837م، وكان عمره 65 سنة ، فتوارث بعده الحكم إلى سنة 306هـ/ 912 م و هو تاريخ تصدع الحلف الصنهاجي بسبب الخلافات الداخلية ، ودام هذا الوضع مائة وعشرين سنة ،إلى أن تم تشكيل حلف ثاني بزعامة محمد بن تيفات [5] المعروف بتارشتا اللمتوني ، وكان من أهل الدين والصلاح ،وقدموه على أنفسهم ،فقام أميرا على صنهاجة إلى أن استشهد أمام قبائل من السودان وولي أمر صنهاجة بعده صهره يحي بن إبراهيم الكدالي [6]

عزم يحي بن إبراهيم القيام بأداء فريضة الحج فأتجه إلى المشرق ن ويذكر ابن الأحمر انه خلال

---

[1] – بوتشيش (إبراهيم القادري بوتشيش) :**المغرب و الأندلس في عصر المرابطين** ، نقلا عن عياض و المراكشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ،بيروت ، لبنان 1993 ،ص7 .

[2] – ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص164 .

[3] – **تلاكا كين** : البكري يقول يحي بن عمر بن تلاجاجين و في صبح الأعشى ،يحي بن عمر بن واركوث .

[4] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص121 ،122 .

[5] – **محمد بن تيفات** : عينه الملثون زعيما لصنهاجة و كان من أهل العلم و الصلاح و الجهاد و استشهد وهو يجاهد الوثنيين ،خلفه صهره يحي ابن إبراهيم الجدالي ، ابن ابي زرع ،نفس المصدر و الصفحة .

[6] – ابن أبي زرع ، نفس المصدر و الصفحة .

رحلته إلى البقاع المقدسة التقى في القيروان[1] بعالم مغربي يدعى أبو عمران الفاسي [2]، وخلال هذا اللقاء تم وضع استراتيجية بين الطرفين تهدف الى تقويض الدويلات الزناتية المتناحرة وإقامة دولة سنية مالكية تسعى إلى إصلاح المجتمع و تطهيره من الحركات البدعية [3]، وبعد امتناع تلامذة أبو عمران الفاسي عن مرافقة يحي بن إبراهيم لإشفاقهم من دخول الصحراء ومشقة ذلك ، فأرشده إلى أحد تلامذته الذي درس لديه و يدعى واجاج بن زلو اللمطي، وأرفقه بكتاب يدعوا هذا الأخير إلى أن يبعث واحدا من تلامذته رفقة يحي بن إبراهيم ليعلمهم و يفقههم في الدين ، وعندما وصل يحي بن إبراهيم إلى واجاج بن زلو سلم عليه و سلمه الكتاب ، وبعد قراءته للكتاب امتثل للأمر شيخه و ندب أحد تلامذته و يدعى عبد الله بن ياسين، وهو من الطلبة الأذكياء ، والذي كان له دور بارز في الدعوة ورافق بجانب إبراهيم ، وكان اللقاء بين يحي بن إبراهيم و واجاج بن زلو في مدينة نفيس[4] في رجب سنة 263هـ /877م[5] وعبد الله بن ياسين كان يحمل مشروعا إصلاحيا في الجانب الديني و السياسي وذلك بإصلاح المجتمع و إرساء دولة سنية .

كما أشرنا سالفا قدم عبد الله بن ياسين مع يحي بن إبراهيم [6] و كانت أولى القبائل الذين استقبلوه كدالة و لمتونة حسب بن أبي زرع الذي قال : << فالتقى قبائل كدالة ولمتونة وفرحو به غاية الفرح وبالغوا في إكرامه و بره >> ، وباشر مشروعه الإصلاحي بإرشاد الناس لتعاليم الإسلام و

---

[1] –**القيروان** : مدينة إفريقية بناها عقبة بن نافع الصحابي و تعني لغة .. القافلة وهو إسم جيش انظر: ابن خلكان، ص 272

[2] – **أبو عمران الفاسي** : هو موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي من بني غفجوم ، أصله من فاس ونزل القيروان واخذ عن أبي الحسن القابسي ثم رحل إلى بغداد حيث حضر مجلس الفقيه ابو بكر الطيب و عاد إلى القيروان و بها مات سنة 430 هـ ، مجهول ،مفاخر البربر ،ص145 ،نقلا عن الشادلي ، التشوف إلى رجال التصوف ، ص89.

[3] – ابن الأحمر ،(إسماعيل ابن الأحمر) : **بيوتات فاس الكبرى** ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ،الرباط 1972 ،ص29 .

[4] – **نفيس** : من أعمال السوس و يجعلها ابو عبيد البكري في ملكوس ، انضر البكري ،ص165 .

[5] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص124 .

[6] – **يحي بن إبراهيم:** هو رئيس صنهاجة حارب أعداءه، وفي 427هـ استخلف ولده إبراهيم بن يحي على رياسة صنهاجة ورحل للمشرق للحج، فحج والتقى بابي عمران الفاسي و توفي في 13 رمضان، ابن ابي زرع: المصدر نفسه، ص123.

أوامره ، وأمرهم بالمعروف و نهاهم عن المنكر ، وكبحهم عن مألوفاتهم الفاسدة وشدد عليهم فنفروا منه واستصعبوا علمه ، ولما رأى عبد الله بن ياسين إعراضهم عنه عزم الرحيل إلى بلاد السودان الذين اعتنقوا الإسلام ، فلم يتركه يحي بن إبراهيم و قال له أتيت بك لانتفع بعلمك ثم أشار عليه برأي وهو التوجه إلى جزيرة في البحر [1] فاتجهوا إليها و معهم سبعين من كدالة فابتنيا بها رابطة و أقام بها مع أصحابه يعبدون الله ، وعبد الله بن ياسين يقرؤهم القرآن و يستلهمهم، فكثر الواردون إليهم ، وكان عبد الله بن ياسين رجلا نشيطا و مغامرا سياسيا لا يهاب شيئا . وبعدما أطلق عبد الله بن ياسين على الجماعة التي اجتمعت حوله اسم المرابطين ، أمرهم بالسير للجهاد في سبيل الله و انضمت إليهم جموع من الكدالين واللمتونيين و غيرهم [2] .

وهنا يبدأ عبد الله بن ياسين الجهاد وفتح بلاد المغرب والأندلس وسنناقش كل هذا في هذه الدراسة ، وقد مر عبد الله بن ياسين بمراحل في تأسيس الدولة المرابطية ، وبعض المراحل عاصرها و أشرف عليها و البعض الآخر أتمها أتباعه المخلصون الأوفياء ، و نذكر منها :

أ–مرحلة الدعوة و التعريف بالإسلام :في هذه المرحلة قام ابن ياسين بتعريف الناس بالعقيدة الإسلامية الصحيحة .

ب–مرحلة اختيار العناصر التي تحمل الدعوية عند الفقيه ابن ياسين : لما كثر إتباع ابن ياسين ،وضع شروطا رآها لازمة لكي لا يتأثر تنظيم رباطه الجديد ،و مرحلته التي بدا الشروع فيها كان ينتقي أطهر الملثمين نفسا و وأقدرهم على تحمل المشاق [3] .

---

[1] – ابن أبي زرع ،المصدر نفسه ،ص126 .

[2] – حسين مؤنس : **معالم تاريخ المغرب و الأندلس** ، دار الرشاد ، ط 5 ،1421 هـ–2000م القاهرة ، ص184 .

[3] – علي محمد الصلابي : **فقه التمكين عند دولة المرابطين** ، مؤسسة أقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، ط1 ،القاهرة ،1427هـ–2006م،ص30 .

ج–مرحلة المغالبة التي قام بها ابن ياسين [1] : لما فقه ابن ياسين أتباعه في الدين أمرهم بالخروج لتفقيه القبائل ، فقال لهم << اخرجوا على بركة الله و انذروا قوامكم [2] >> ، فتبعهم البعض وأبى البعض الأخر ، فجاهدوهم حتى اجتمعوا حول ابن ياسين و غلبوا أمره ، وبدأت الدولة المرابطية في التكوين وأتى بعد ابن ياسين قواد أتموا ما عليهم .

3. النزاع المرابطي البربري:

كما سلف وان ذكرنا أن عبد الله ابن ياسين لما أسس رباطة وأجتمع إليه نحو ألف من طلابه و سماهم المرابطين، دعاهم للخروج و الجهاد في سبيل الله وذلك لمجابهة من خرج من القبائل البربرية [3] المتصلب على أقطار المغرب ن كما يذكر ذلك المؤرخ ابن بسام في حديثه عن حروب الأمير يوسف بن تاشفين [4] لطوائف البرابرة و مجابهتهم لهم بقوله ((....بقيت حرب طوائف البرابرة المتغلبين –كانوا –على أقطار العدو ...)) [5]

وهذه القبائل البربرية كرست الدولة المرابطية و وقتها و إمكاناتها للقضاء على سلطانها و طغيانها و إخضاعها ، و هذا منذ أن وضع عبد الله ابن ياسين ، ويحي ابن إبراهيم الركائز الأولى للدولة المرابطية الناشئة ببناء الرباط و القيام بأمر الدعوة ، فعندما فقه عبد الله ابن ياسين هؤلاء النفر من المرابطين في الدين قام فيهم خطيبا ، فوعظهم و دعاهم للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،

---

[1] – علي محمد الصلابي :**الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين** ،دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط1، مصر، القاهرة 1424هـ-2003م ،ص55.

[2] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص ، 126 .

[3] – **البربر** : إختلف النسابة في تحديد نسبهم ،فقال بعضهم انهم من ولد إبراهيم عليه السلام ،وقال بعضهم أن البربر يمانيون ، أنضر ابن خلدون ،العبر مجلد 6 ،المصدر السابق ،ص107.

[4] – **يوسف بن تاشفين** : هو بن ابراهيم بن تورفين بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تامليت الحميري من قبيلة لمتونة الصنهاجية ، يعتبر الأب الروحي رفقة ابن ياسين للدولة المرابطية ،**الاندلس في عهد المرابطين و الموحدين** ،ص65 .

[5] – ابسام :المصدر السابق، ق2، مج1 ،ص654 .

ودعاهم لجهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة و قال لهم إنكم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد أصلحكم الله فوجب عليكم شكره و الجهاد في سبيله ، وأمرهم بالخروج لينذروا قومهم و يفقهوهم ، فسار كل منهم إلى قومه و أنذروهم فعصوا واستكبروا إليهم عبد الله ابن ياسين فجمع أشياخ القبائل و دعاهم للتوبة ، فازدادوا فسادا ولما يئس منهم قال لأصحابه ، قد أبلغنا الحجة فوجب علينا جهادهم [1].

كانت أول قبيلة غزاها المرابطون قبيلة جدالة [2] ، كما تذكر النصوص التاريخية "وأول من قاتلوا منهم كدالة فقتل منهم خلق كثير و أسلم الباقون"[3] ، ويذكر ابن أبي زرع أنه غزاهم في ثلاثة ألاف رجل من المرابطين ، وأصبحوا يؤدون ما فرض الله عليهم و كانت هذه الغزوة في صفر سنة أربعة وثلاثين و أربعمائة434هـ/1042م [4] ، وبعد هذا النصر توجه ابن ياسين إلى قبائل لمتونة[5]، فنزل بهم و قاتلهم حتى ضفر عليهم ،وأذعنوا و بايعوه على ما بايعته لمتونة و جدالة ، وتبعتهم قبائل صنهاجة و لمتونة وسارعوا إلى التوبة و إلى مبايعته وأقروا إليه بالسمع و الطاعة، وكان كل من أقبل إليه تائبا منهم طهره ، وهذا بضربه مائة سوط ،ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام ويأمره بالصلاة و الزكاة وإخراج العشر [6] ، وقد جعل لذلك بيت مال يجمع ما يرفع إليه من ذلك ،ثم أخذ في شراء السلاح وإركاب الجيوش من ذلك المال ،وجعل يغزوا القبائل حتى ملك جميع بلاد

---

[1] – ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص127 .

[2] – **جدالة** :إحدى قبائل صنهاجة و أخوتهم لمتونة ، وهم صحراويون ولهم بطون ضخمة ، وبلادهم مايلي : ارض السودان ، ابن عذاري ، المصدر السابق ،ص7، نقلا عن مفاخر البربر ،ص52 .

[3] – ابن أبي دينار (أبي عبد الله الشيخ ، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) : **المؤنس في أخبار أفريقيا و تونس** ، طبعته الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، ط1، 1986م، ص104 .

[4] – ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص127 .

[5] – **لمتونة** : هي إحدى قبائل صنهاجة ، كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين القبائل تحت زعامة عبد الله ابن ياسين ،أنضر ...البكري ، المغرب في ذكر أخبار إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ، د ت ،ص164

[6] –أبو العباس احمد بن خالد المناصري : المصدر السابق ، ص11 .

الصحراء ، واستولى على قبائلها ، وجمع أسلاب المقتولين في ذلك الغزو و جعلها فيئا للمرابطين ، وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة و الأعشار و الأخماس إلى طلبة البلاد و المصامدة و قضاتها ، واشتهر أمرهم في بلاد الصحراء و بلاد القبلة وبلاد المصامدة و سائر بلاد المغرب وإن قام رجل من كدالة يدعوا إلى الله وإلى الطريق المستقيم ويحكم بما أنزل الله .[1]

وبعد وفاة يحي ابن إبراهيم الكدالي أراد عبد الله ابن ياسين أن يقدم شخصا آخر في موضعه ليقوم بمواصلة درب سابقه فكانت أكثر قبائل صنهاجة من حيث الطاعة و الدين لمتونة و عبد الله ابن ياسين يشرفهم و يقدمهم على قبائل صنهاجة ، فجمع عبد الله ابن ياسين زعماء القبائل من صنهاجة و قدم عليهم يحي ابن عمر اللمتوني ، وبذلك تولى الزعامة العسكرية وعبد الله ابن ياسين الزعامة الدينية [2] .

و كان يحي بن عمر من اشد الناس انقيادا لعبد الله ابن ياسين و امتثالا لما يأمره به ، ولقد حدث جماعة أن عبد الله قال له في بعض تلك الحروب ، أيها الأمير إن عليك حقا أدبا يقال له يحي و ما الذي أوجب علي قال عبد الله إني لا أخبرك به حتى أؤدبك ، وأخذ حق الله منك ، يطاع له الأمير بذلك و حكمه في بشرته بضربه الفقيه ضربات بالسوط ، ثم قال له الأمير لا يدخل القتال بنفسه لأن حياته حياة عسكر وهلاكه هلاكهم ، وأستحوذ الأمير يحي على جميع بلاد الصراع و غزا بلاد السودان [3] ،

---

[1] – ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص127 .

[2] – البكري أبي عبيد: **المغرب في ذكرى بلاء افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي للنشر، القاهرة ،ص167 .

[3] –**بلاد السودان** : يشمل السودان الغربي أو بلدان غرب إفريقيا جُلّ المناطق الواقعة بين حوضي نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر فولتا، وتبعًا لذلك تُحَدُّ منطقة الغرب الإفريقي بالمحيط الأطلسي، وشرقًا بالضفة الشرقية لنهر النيجر، وبحيرة تشاد، وشمالاً بالصحراء الكبرى وجنوبا بمنطقة السفانا ومقدمة الغابات الاستوائية. **المصدر** السابق ، ص128 .

وفي سنة سبع و أربعين و أربعمائة هجرية 447هـ/1055م اجتمع فقهاء سجلماسة [1] و فقهاء درعة[2] يكتبوا إلى عبد الله ابن ياسين و يحي ابن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يدعوهم للوصول لبلادهم ، وصور لهم وضع البلاد من الجور و العنف ، وما يعانيه المسلمون من الذل مع أميرهم منصور بن وانودين ، ولما وصل الكتاب لعبد الله ابن ياسين جمع رؤساء المرابطين ، وقرأ عليهم الكتاب و شاورهم في الأمر فقالوا هذا واجبنا و أمرهم بالتحضير ، و خرج بهم في عشرين صفر سنة سبعة و أربعين وأربعمائة هـ(الأحد 21ماي 1055 م) [3] ، فغزاهم في جيش كثيف حتى غلبوا عليهم ودخلوا سجلماسة و ملكوها " [4]، وهذا بعد حروب طويلة بين المرابطين ومسعود بن وانودين، وتم القضاء عليه وأكثر جيوشه واستولى عبد الله ابن ياسين على أموالهم و ممتلكاتهم ، فأخرج من هذا المال الخمس ،وقسمه على فقهاء سجلماسة، ودرعة وصلحائها و قسم الباقي على المرابطين، وهذا بعدما أصلح عبد الله ابن ياسين أحوال سجلماسة، ثم قدم عليها عاملا من لمتونة و أنصرف إلى الصحراء ، وتوفي الأمير يحي ابن عمر في جهاد كان ببلاد السودان ، فقدم عبد الله ابن ياسين في مكانه أخاه أبا بكر ابن عمر اللمتوني في شهر محرم سنة 448هـ/ 1056م[5]

وخرج الأمير أبي بكر من سجلماسة بعسكره في الثالث عشر إلى درعة لأخذ ما أخرج له عليهم من الزكاة الفطرة ، وكان بدرعة قوم من زناتة [6] فامتنعوا له فقاتلهم الأمير أبو بكر وهزمهم ،

---

[1] – **سجلماسة** : مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان في مقطع جبل درن : ينظر عبد الرحمن ابن خلدون ،المصدر السابق ، المجلد 2 ، ص300 .

[2] – **درعة** : هي ببلاد السوس يمر بها نهر كبير يسمى نهر درعة ،انضر البكري ، المغرب في ذكر أخبار إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك ،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د ، ت ،ص170.

[3] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص128 .

[4] – مجهول : **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تح سهيل زكار وعبد القادر رمامة ، دار الرشاد الحديث ، ط1 ،1399هـ-1979 ،ص22 .

[5] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 129 .

[6] – **زناتة** : ينسبون إلى أبو الحسن علي بن عبد العزيز الزناتي ، وزناتة ناحية سرقسطة من جزيرة الأندلس ، ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، دار صادر بيروت ، جزء 3 ص151 .

وغنم إبلهم و مواشيهم ، وولى الأمر أبو بكر على بلاد درعة رجلا من خيار لمتونة و ترك معه جمعا كبيرا و عاد إلى سجلماسة .

وخرج المرابطون لغزو بلاد المصامدة[1] في جيش مهول و كان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة ثمان مائة و أربعين وأربعمائة ، وجعل الأمير أبو بكر على مقدما ابن عمه يوسف بن تاشفين ، فغزا بلاد السوس [2] سنة ثمان وأربعين وأربعمائة 448هـ/1056م وافتتح ماسة و تارودانت [3] ، وبرودانه كان بها قوم من الروافض يدعون البجلية ،منسوبين إلى عبد الله البجلي الرافضي[4] ، كان قد وفد إلى السوس وذلك حين مجيء عبد الله الشيعي إلى إفريقية ، وانتشر مذهبه و توارث بعده جيلا بعد جيل لا يرون الحق إلا عندهم ، وجابههم أبو بكر ابن عمر و عبد الله ابن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة ، وقتل الكثير من الروافض ، ومن بقي رجع إلى السنة ، واخذ أموال المقتولين و جعلها فيئا للمرابطين وهكذا افتتح المرابطون معاقل بلاد السوس ، وأطاعتهم جميع قبائلها ، ثم ارتحل إلى بلاد المصادمة ففتح جبل درن[5] و فتح بلاد رودة ، وفتح مدينة شعشاوة بالسيف ، ثم فتح بلاد نفيس[6] ، وباقي بلاد كدمنوة ، ثم أتاه قبائل رجراجة و حاحة فبايعوه.[7]

---

[1] – **مصمودة** : نسبة إلى المصامدة ومصمودة قبيلة بربرية من البرانس تسكن جبال الأطلس جنوبي مدينة مراكش بجبل درن . أنظر ياقوت الحموي..المصدر نفسه ، ص29

[2] – **السوس**: مدينة واقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب اي في أقصى إفريقيا وسميت بذلك بنسبة إلى نهر السوس ، الحسن الوزان بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، تر، محمد حجي و أخرون ، دار الفكر الاسلامي بيروت ،ط2، 1983،ج1 ،ص34.

[3] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص1647 .

[4] – **عبد الله البجلي الرافضي** :قدم على السوس زمن مجيئ عبدالله الشيعي الرافضي حيث نشر عقيدته الباطلة المنافية للاسلام من شرك واعتقادات باطلة و رفع بعض الاشخاص لمنزلة التقديس و الالوهية والطواف بقبورهم و التبرك بالاولياء الصالحين والاستغاثة بهم ، احمد ابن خالد الناصري،المصدر السابق ، ج 2 ،ص20.

[5] – **جبل درن** : يبدأ من البحر المحيط في أقصى السوس، ويمر مع المشرق مستقيما حتى يصل إلى جبال نفوسة، فيسمى هناك بجبل نفوسة، ويتميز بالسمو وكثرة الخصب وطول المسافة واتصال العمارات .أنظر :الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، د ط، ج2 ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2002،ص229.

[6] – **بلاد نفيس**: وهي بارض المغرب و قريبة من مراكش يمر بها واد كبير ....انضر ياقوت الحموي معجم البلدان

[7] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص14 .

ثم أفتتح مدينة أغمات سنة 449هـ/1057م ، وفر أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي إلى تادلا واستضاف إلى بني يفرن[1] ثم افتتح المرابطون بلاد المصامدة بجبال درن و جاسوا خلالها سنة 450هـ/1058م ثم اغزوا تادلا فاستباحوها و استلحموا بني يفرن ملوكها ، وقتل معهم لقوط بن يوسف المغراوي[2] صاحب أغمات ، و تزوج امرأته زينب بنت إسحاق النفزاوية [3] ، ثم توجه المرابطون إلى بلاد تامسنا فافتحوها ، وكان بساحلها قبائل برغواطة و عددهم كبير ، وأنهم مجوس كفار ، واخبر عبد الله بن ياسين بديانتهم الخسيسة ، وأنهم قبائل ليس لهم أب ولا أم واحد بل هم خليط من قبائل البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف حين ادعى النبوة في أيام هشام ابن عبد الملك[4] ، واصله من رباط حصن في الأندلس فقيل لمن يتبعه ودخل ديانته برباطي ،وعربته العرب وقالوا برغاطي و سمو برغواطة [5] و كانوا في حالة من الضلالة ولهذا رأى عبد اله ابن ياسين أن الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم ، فسار إليهم في جيوش المرابطين و الأمير يومئذ علي بركواطة هو أبو الحفص عبد الله من ذرية أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي عفير محمد ابن معاذ ابن اليسع بن صالح بن طريف ، فكانت بينه و بين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام ، مات فيها من الفريقين خلق كثير ، وأصيب فيها عبد الله ابن ياسين الجزولي

---

[1] – **بني يفرن** : أو آيت يفرن أو الإفرنيونيين : هم بنو يفرن بن بصلتين بم مسرا بم بن زاكية بم ورسيك ، بن ديرت بن زناتة ، وقيل بنو يفرن بن مرة بن ورسيك بن زناتة ، ينظر ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق ،ص11.

[2] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص14 .

[3] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 1647 .

[4] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص14 .

[5] – **برغواطة** : **نشأت** هذه المملكة في اقليم تامسنا وتسمى الآن الشاوية ،وهي ألرض تبدا من مدينة الرباط الحالية الى المحيط في ثغر فضالة المحمدية حاليا وتنتهي عند أزمور على مصب وادي ام الربيع ، وام الربيع قرية كبيرة جامعة فيها أخلاط من برابر و هون وزناتة وتامسنا و قبائل تامسنا شتى و متفرقة منها مطماطة وبرغواطة ، ظهرت هذه الدولة نتيجة للمذاهب الخارجية الكبرى ذات التوجه الصفوي التي هزت المغرب بأسره ابتداءا من 122هـ/740م وقاد هذه الحركة ميسرة السقاء الملقب بالحقير ، تاسست على يد طريف ابو صالح (122هـ –127هـ) اختلفت المصادر حول اصله ، اما يهودي من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحاق او بربري برغواطي جاء من واد برباط من الاندلس . انضر محمد الطالب و ابراهيم العبيدي ، البرغواطيون في المغرب ،الطبعة 1، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء 1999،ص47.

– مهدي المرابطين – فكانت فيها شهادته رحمه الله [1] ، وقبل وفاته جمع أشياخ المرابطين وحذرهم من الفشل و أمرهم بالإتحاد و نهاهم عن التحاسد و السباق على الرياسة و أمرهم أن يقدموا عليهم أحدا من ينوبه [2] ، وقتل ببرغواطة سنة 451هـ/1059م بموضع سمي كريفلة [3] ،وعلى قبره اليوم مشهد مقصود و رابطة معمورة ولم يقتل حتى استولى على سجلماسة و أعمالها و السوس كله و أغمات و نول الصحراء. [4]

ولما قدّم عبد الله ابن ياسين على المرابطين قبل وفاته الأمير أبي بكر بن عمر بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة و غيرها فكانت له البيعة ، وأول ما قام به دفن عبد الله ابن ياسين ، وبعدما أتم ذلك جمع جيوشه واتجه إلى قتال برغواطة فاستأصل برغواطة و تفرقت برغواطة في الصحراء ، وانقادوا إليه بالطاعة ، واسلموا وزالت ديانتهم الخسيسة [5] ، وخرج أبو بكر بن عمر غازيا بلاد المغرب في أمم لا تحصى من صنهاجة وجزولة و المصامدة ففتح جبال فزاز و سار إلى بلاد زناتة ، وفتح مدائن مكناسة ، ثم نزل على مدينة لواتة ، فحاصرها حتى اقتحمها عنوة بالسيف و قتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن و خربها فلم تعمر حتى الآن[6] .

ويذكر ابن خلدون انه تزوج امرأته زينب بنت إسحاق النفزاوية والتي اشتهرت بالجمال و البهاء والرياسة [7] ، وبعد ذلك طلقها أبو بكر بن عمر بعد أن جاءه رسول يخبره باحتلال أمر

---

[1] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص18 .

[2] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص133 .

[3] – **كريفلت** : هو الموضع الذي قتل فيه عبد الله بن ياسين ، ويوجد بأرض قبيلة زعير بحوز الرباط ، وينسب المكان لوادي كريفة ، احد فروع وادي أبي رقراق : ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص32 .

[4] – البكري ، المصدر السابق ، ص ،159 .

[5] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص134 .

[6] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص19 .

[7] – ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 1647 .

الصحراء فاتجه إلى هناك لإصلاح الأمور ، وأوصى زينب أن تتزوج يوسف بن تاشفين بعد إتمام عدتها [1] .

واصل يوسف بن تاشفين نهج سلفه من الأمراء في مجابهة الطوائف البربرية المتغلبة على أقطار المغرب كما يذكر ذلك ابن يسام بقوله :"ثم لم يزل يستشري الداء ويعم أقطار الجزيرة البلاء ، وأمير المسلمين وناصر الدين – رحمه الله – مشغول ببقية ،حرب طوائف البرابرة المتغلبين –كانوا – على أقطار العدو، فلم يزل يميط أذاها و يضرح قذها حتى سلك سبيلها" [2] ، وجابه أمير المسلمين هذه القبائل البربرية بضراوة حتى أخضعها ، وسلكت هذه القبائل طريق الصواب و إتباع نهج الإسلام.

وكان قدومه على المغرب أبو بكر بن عمر وفوض إليه آمره وكان ذلك سنة ثلاثة و خمسين و أربعمائة 453هـ/1061م، انصرف عنه من مدينة سجلماسة ، ولما وصل إلى واد ملوية تفقد جيشه فوجدهم أربعين ألفا من المرابطين ، واختار منهم أربعة قواد وهم : محمد بن تميم الجدالي ، وعمر بن سليمان المسوفي ،و مدرك التلكاتي ،و سير بن أبي بكر اللمتوني ، وجعل كل واحد منهم على رأس خمسة ألاف من قبيلته و قدمهم بين يديه لقتال قبائل المغرب ، وسار هو في أثرهم فغزى قبائل المغرب قبيلة بع قبيلة حتى دخلوا في طاعته [3] ودخلت سنة أربع و خمسين و أربعمائة 454هـ/1062م، فيها تقوى أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب و كبر صيته ، وفيه اشترى موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة فسكن الموضع بخيام الشعر ، و بني فيه مسجدا للصلاة و نصبت صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه و لم يبن على ذلك سورا ، وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحتزم و يعمل في الطين والبناء بيده [4] .

---

[1] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص125 .

[2] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ص654 .

[3] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص139

[4] – ابن أبي زرع ، المصدر نفسه ،ص139

ويذكر ابن بسام في حديثه عن الملثمين (...فإذا كتاب سقوت المنتزي يومئذ بسبتة ، يذكر أن القوم الملثمين المدعون بالمرابطين قد وصلت مقدمتهم رحبة مراكش..؟ .دخلوها .) [1] وفي سنة أربع و خمسون المذكورة ، اعد يوسف بن تاشفين الأجناد وكثر القواد و فتح كثيرا من البلاد ، وجعل كثيرا من الطبول و البنود ، واخرج العمال و كتب العهود ، واحتوى جيشه على الأغزاز[2] و الرماة، كل ذلك إرعابا لقبائل البربر ، ووصل جيشه في تلك السنة إلى أزيد من مئة ألف فارس من قبائل صنهاجة و جزولة و المصامدة والزناتة و الأغزاز والرماة و خرج بهم من مراكش قاصدا فاس ، فواجهته قبائلها و قاتلوه ، وكانت بينه وبينهم حرب عظيمة انهزموا فيها أمامه ، وانحصروا بمدينة صَدينة [3]، فدخل عليه بالسيف و قاتلهم ، ثم رحل يوسف بن تاشفين إلى فاس وفتح جميع الحصون المحيطة بها ، وأقام عليها أياما قلائل وظفر بعاملها بكار ابن إبراهيم فقتله ،ثم رحل إلى صفروي [4] ، فافتتحها و قتل من كان فيها من أولاد وانودين المغراوي ، ورجع إلى فاس فافتتحها صلحا سنة خمس و خمسين وأربعمائة 455هـ/1063م [5] ، ثم استخلف عليها عاملا من لمتونة وخرج إلى بلاد غمارة ، فلما بعد يوسف بن تاشفين عن فاس و توغل في بلاد غمارة ، خالفه إليها تميم بن معنصر فدخلها وقتل عامل يوسف بن تاشفين الذي كان بها و في هذه السنة بايع المهدي بن يوسف الجزنائي صاحب مكناسة يوسف بن تاشفين ، ودخل في طاعة المرابطين ، فأقره يوسف على عمله ، وأمره أن يخرج بين يديه بعسكره لقتال بلاد المغرب و قبائلها ، فتجهز المهدي و خرج في جيشه من مدينة عَوسجة يريد يوسف بن تاشفين ، فسمع بذلك تميم بن معنصر المغراوي القائم

---

[1] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ص40

[2] – **الغزاز**: اختلفت الروايات التاريخية حول تواجد العنصر التركي في المغرب و الأندلس في عهد المرابطين ، إلا أننا لا نجد أي معلومة تشير لتواجد العنصر التركي في الدولة المرابطية الا عند أبي زرع الذي أشار إلى أن يوسف بن تاشفين استخدم الأتراك الغز ضمن جيشه ، ابي زرع مصدر سابق ،الانيس المطرب ، ص89 .

[3] – **صدينة** : مدينة واقعة في الشمال من فاس ، قرب مجرى نهر سبو ، ابن ابي زرع ، نفس المصدر و الصفحة .

[4] – **صفروي**: أو صفرو :مدينة صغيرة قريبة من فاس منحصرة ، وبها أسواق قليلة ، مفاخر البربر ،ص146 نقلا عن الادريسي ،المصدر السابق ، ص95.

[5] –.ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص1647، 1648.

بمدينة فاس ، فخاف على نفسه من أن يتقوا عليه بالمرابطين ، فعاجله وخرج إليه من فاس في أنجاد مغراوة و قبائل زناتة فلحق به في بعض الطريق فكان بينهما قتال شديد ، قتل فيه المهدي بن يوسف و افترق جمعه ، وبعث تميم بن منصور برأسه إلى صاحب سبتة و هو سقوت البرغواطي.[1]

فلما قتل المهدي بن يوسف بعث أهل مدينة مكانسة إلى يوسف بن تاشفين ، فأخبروه بموت أميرهم و سَلموا إليه البلاد فملكها[2] ، "فسرح عساكر لمتونة إلى حصار فاس ، وأخذوا بمخنقها و قطعوا المرافق عنها ، وألحوا بالقتال عليها فمسهم الجهد ، و برز معنصر إلى مناجرة عدوه لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه و هلك ، واجتمع زناتة من بعده على القاسم بن محمد بن عبد الرحمن من ولد موسى بن أبي العافية ، كانوا ملوكا بتازا واتسول فزحفوا إلى عساكر المرابطين و التقو بوادي صفير فكان الظهور لزناتة و استلحم كثير من المرابطين ، واتصل خبرهم بيوسف بن تاشفين و هو محاصر لقلعة مهدي من بلاد فازاز"[3] ، وغادرها يوسف بن تاشفين و ترك عليها جيشا من المرابطين محاصرا لها ، و أقاموا بها نحو تسعة أعوام ، فدخلوها صلحا سنة خمسة و ستين و أربعمائة 465هـ/1072م، ولما رحل يوسف بن تاشفين عن القلعة سنة خمسة وستين اتجه إلى بني مراسن وأميرهم يعلا بن يوسف فغزاهم وقتل منهم خلقا كثير[4] ، ثم افتتح فنزلاوة ثم بلاد ورغة سنة 458هـ/1065م،" ثم افتتح بلاد غمارة سنة 460هـ/1067م، وفي سنة اثنين و ستين و أربعمائة 462هـ/1069م نزل فاس فحاصرها مدة ثم افتتحها عنوة و قتل بها زهاء ثلاثة آلاف من

---

[1] – **سكوت:** ويكتب سقوت أيضا ، أصله من قبيلة برغواطة الزناتية بين طنجة و أصيلة ، أسر في الحرب غمارة وبرغواطة ، ابن ابي زرع ، المصدر السابق ،ص141

[2] – ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص1648.

[3] ابن خلدون ،المصدر نفسه ،ص1648.

[4] –ابن ابي زرع ، المصدر السابق ،ص143.

مغراوة و بني يفرن و مكناسة وقبائل زناتة حتى أعوزت مدافنهم فرادى ، فاتخذت لهم الأخاديد وقبروا جماعات و خلص من نجى منهم من القتل إلى بلاد تلمسان"[1] .

" فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس حصنها وثقفها وأمرهم بهدم الأسوار التي كانت بها بين المدينتين ، عدوة القرويين و عدوة الأندلس وردها مصرا واحدا و أمر ببناء المساجد في أحوازها و أزقتها و شوارعها ، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله و أجبرهم على بناء مسجد فيه و بناء الحمامات والفنادق و الأرحاء و أصلح أسواقها."[2]

و يذكر ابن عذارى انه في سنة أربع و ستين و أربعمائة 464هـ/1071م طرأ خبر إلى يوسف بن تاشفين أن بن عمه الأمير أبا بكر بن عمر قد أخذ في الرجوع من الصحراء إلى بلاد المغرب ، فحزن حزنا عظيما ، وصعب عليه مفارقة الملك و رأت زينب ذلك في وجهه وقالت له " أراك مهموما مكروبا من وصول ابن عمك إلى ملكه الذي ولاك عليه ، والله لا ذاق أبو بكر طعمها أبدا ، فطب نفسا و قر عينا " فقال لها : انه استخلافه إلي من بين كل بنيه ، ويثق علي في هذه المملكة ، ولو كان غير ابن عمي لقاتلته ". ..فقالت له "أنا أدلك....لله ..قال ماذلك يازينب فإني –ولله– أعرفك ميمونة "....."قالت له إذا قدم عليك و بعث مقدمات رجاله إليك فلا تخرج إليه ،

---

[1] – **تلمسان** : اهتمّ بتلمسان عبر التاريخ الكثير من المؤرّخين فدرسوا جوانبها العديدة سواءا عربا كانوا أو أجانب، فقد تحدّث عنها أبو عبيد البكري أ ا: "دار مملكة قديمة البناء و دار مملكة زناتة و أهلها موسومون بالخير من قبائل حاوز ا ...و الأخرى تعرف بتاجزرت بناها ملك لمتونه يوسف بن تاشفين في حدود إثنان و ستّين و أربعمائة بمكان محلته و لذلك سميت بتاجزرت فإنّه إسما المحلّة بلسان زناتة و ابتدأ بناء سورها السيد موسى بن يوسف العسري بن عبد المؤمن بن علي سنة ستّ و ستون خمسمائة و كمله و حضّة السيد أبو الحسن بن السيد ، حفص بن عبد المومن في إحدى و ثمانين عند استيلاء أولاد غانية على بجاية و الجزائر و المدية .وفي السياق نفسه يضيف الشيخ المليلي قائلا :"و **تلمسان** مدينتان إحداهما قديمة تعرف **بأغادير** أسّسها بنو يفرن الإسلام و الثانية أحدثها يوسف بن تاشفين سنة 474م بمعسكره المحاصر بأغادير و سماها تقرارت باسم المعسكر في لسانهم "انضر . الإدريسي، أبو عبد الله ، المصدر السابق ، ص 210.

[2] – ابن ابي زرع ، المصدر السابق ،ص142.

ولكن بادره بهدية جليلة ....فلا يقاتلك على دنيا" [1] ، وقال يوسف بن تاشفين لزينب لا أخالفك في أمر تشرين به ووصل الأمير أبا بكر بن عمر سنة خمسة و ستين و أربعمائة 465هـ/1072م، واستقبل يوسف بن تاشفين وقد استبد بالمملكة وطاعت له جميع بلاد المغرب ن وعزم على تسليم الأمر إليه فبعث إلى يوسف ابن تاشفين يخبره بوصوله إليه ، وعين له يوما معلوما يكون فيه اجتماعه به فخرج يوسف بن تاشفين مع جنده وعبيده وتلقاه في الطريق فسلم عليه راكبا على دابته وصرح له بخلع نفسه له و ولاه على بلاد المغرب وأخبره بعودته إلى الصحراء إلى جنب إخوانه ، وشكره يوسف بن تاشفين وبعد ذلك قدم له يوسف بن تاشفين هديه إلى ابن عمه أبا بكر بن عمر" [2]

وفي هذه السنة المؤرخة وجه يوسف بن تاشفين إلى أمراء الغرب و أشياخ القبائل من زناتة و المصامدة وغمارة و سائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه فكسا جميعهم ووصى لهم بالأموال ، ثم خرج معهم ليطوف على جميع أعمال المغرب ، وتفقد أحوال الرعية ، وينظر إلى سير ولاتهم و عمالهم فيه ، فصلح على يديه بذلك كثير من أمور الناس ، وفي سنة خمس وستين وأربعمائة غزا يوسف بن تاشفين مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة و فتح جبل علودان[3] ، وفي سنة سبعة وستين وأربعمائة 467هـ/1074م فتح جبال غياثة و بني مكود و بني رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا [4] .

ثم جزأ يوسف بن تاشفين المغرب إلى عمالات على بنيه و أمراء قومه و ذويه ، وبعدها استدعاه المعتمد ابن عباد إلى الجهاد و نصرة البلاد[5] ، فقال له لا يمكنني ، إلا أن أتملك سبتة[6]

---

[1] – ابن عذاري ،المصدر السابق ،ص23.

[2] – ابن عذارى ، المصدر نفسه ،ص 23 ،25 .

[3] – **علودان** : يقع بقبيلة بني زروال (قيادة تافزنت –إقليم فاس) ، ابن زرع ، المصدر السابق ، ص 143.

[4] – ابن بن ابي زرع ، نفس المصدر و الصفحة .

[5] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 1648.

[6] – **سبتة**: مدينة على ضفة البحر الرومي، وهو بحر الزفان الداخل من بحر المحيط: البكري، المصدر السابق ،ص104.

و طنجة [1] ، فراجعه ابن عباد يشير عليه أن يسير إليها في عساكره في البر فينزلها و يبحث ابن عباد قطائه فيجتاز لها في البحر حتى يتملكها ، فأخذ يوسف في محاولة ذلك ،ويذكر ابن بسام عن العز بن سقوت انه كان من اشد تلك الطوائف أيدا و أمتنها كيدا ، العز بن سقوت المتغلب كان على مدينة سبتة و ماولاها [2] .

وفي سنة سبعين و أربعين470هـ/1077هـ ، بدأ يوسف بن تاشفين في حرب سبتة و طنجة ، وأرسل لها قائده صالح بن عمران في اثني عشر ألف فارس من المرابطين ، وعشرين ألف من باقي قبائل المغرب من زناتة و غيرها فلما أصبحوا على مشارف طنجة خرج إليهم الحاجب سقوت برغواطي و مجموعته وهو شيخ مسن في الستة والثمانين ، وقال و الله لا يسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين وأنا حي[3] ، و يلخص المؤرخ ابن بسام فتح طنجة وسبتة ، فيقول : لما لمع نجم امير المسلمين يوسف بن تاشفين في لمتونة ، فأحاط بالقبائل البربرية يؤدبها ، متبعا طريق الحق في مواجهة الجور ، والظلم بسيفه العادل حتى أطاعوه جميعا ، وجاء دور سقوت بن محمد ، واتجه أمير المسلمين صوب بلاده ، وذلك للتخلص ممن خرج عن طاعته من قبيلة زناتة كانوا متحصنين بموضع يعرف بالدمنة ، فقدم إليهم أمير المسلمين لقتالهم و كان ذلك سنة إحدى وسبعين وأربعمائة هجرية 471هـ/1078م، على مقربة من بلاد سقوت ، فقضى يوسف على أتباعه ، وكان سقوت بن محمد وابنه المعروف بضياء الدولة من الملوك الجبابرة ساروا سير ملوك الطوائف في الأندلس بجورهم و ظلمهم ، ومهدت الطريق لأمير المسلمين لقتال سقوت بن محمد بعد قضاءه على أتباعه الذين كانوا يقبلون عليه بشراهة ، وخرج سقوت للقاء أمير المسلمين قرب مدينة طنجة وكان عليها ابنه المعروف

[1] – **طنجة** : هي مساكن صنهاجة ، وطريق الساحل من مدينة سبتة ، البكري ، المصدر السابق ،ص105.

[2] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ص 656.

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ،ص143.

بضياء الدولة الحاجب بن سقوت والتقى الجمعان و جرت المعركة و دامت يومين ، وانتصر المرابطون و قتل سقوت بن محمد ، ودخل المرابطون طنجة سنة 471هـ/1078م[1] .

وبعد مقتل سقوت بن محمد آل حكم الدولة لابنه الحاجب ، وقد أسهب الشعراء في القول فيه وذكروا مآثره ، وكان الحاجب قد استعان بالشر و أوسع البلاد بالضر خاصة البحر ، فقد أخذ السفن بالغصب فشكت منه السماء و الأرض ، إلا أن أذن الله لأمير المسلمين في إفساد سعيه الذميم ، ومن محاسن الصدف ، أن أنشأ المعتمد بن عباد سفينة ضخمة ووجهها إلى مدينة طنجة فاستعان بها أمير المسلمين على الشر ووجهها إلى سبتة ، وفي يوم الخميس من صفر سنة 477هـ/1084م، قدم أمير المسلمين لقتال سبتة أسطولا ضخما واجه به في الطريق سقوت بأسطوله الذي عم البلاد شرا ، فكان ظهور أسطول المرابطين ذلك اليوم ، وواجه أمير المسلمين أمير سبتة بهذه السفينة يوم الجمعة من السنة المؤرخة ،لجأ العز بن سقوت إلى البحر مع أتباعه وهم بالفرار ، ودخل دارا تعرف بدار التنوير[2] ، ولحق به المرابطون و قاتلوه ، وفرعنه أصحابه ، ولما أحس بالشر دفع ذخائره[3] إلى أحد أوفيائه ، ولما عثر عليها وجد فيها جوهر كثير ، ووجد في جملتها خاتم يحي بن علي بن حمود [4] وخرج العز بن سقوت من ليلته تلك فلقيه المعز ابن أمير المسلمين و قضى عليه [5] .

[1] ابن بسام :المصدر السابق،ص661،662 .

[2] – في مفاخر البربر، شوير(وفي المخطوط : تنوير) ابن بسام ، المصدر السابق ، ص663.

[3] – ذخائر : دنانير : ابن بسام ، نفس المصدر والصفحة .

[4] – **يحي بن علي بن حمود** : ملك الدولة في منتهى جهدها ولى سقوت على سبتة ، ابن بسام ، نفسه ص657.

[5] – ابن بسام ، المصدر نفسه ، ص664 .

المبحث الثالث:

الصراع المرابطي مع القوى السياسية في الأندلس

1. الأوضاع العامة في الأندلس قبل مجيء المرابطين
2. النزاع المرابطي النصراني
3. النزاع المرابطي وملوك الطوائف

1. الأوضاع العامة في الأندلس قبل مجيء المرابطين

بعد سقوط الدولة العامرية آلت الأندلس إلى دويلات متصارعة، ومتناحرة عربية، وبربرية، وصقلية، وأضحت الأندلس في أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري تقدم إلينا ذلك المظهر المدهش...، وقد اقتصت أطرافها، وتناثرت أشلاؤها، وتعددت الرياسات في أنحائها لا ترتبطها رابطة ولا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة، لكن تفرق بينها بالعكس، منافسات، وأطماع شخصية وضيعة، وتضطرم بينها حروب أهلية صغيرة، والأندلس خلال ذلك كله تفقد مواردها، وقواها القديمة تباعا، ويحدق بها خطر الفناء من كل صوب، هذه الدول الصغيرة المتخاصمة المتنابذة التي قامت على أنقاض الدولة الأندلسية الكبرى، تعرف بدول الطوائف[1]، ويعرف رؤساؤها بملوك الطوائف[2]، وقد ظهروا جميعا إبان الفتنة بالأندلس[3]

ويصور ابن بسام الوضع في ظل هذه الملوك فيقول:"لأن جملة غلاتهم، وجميع اعتمالاتهم، كانت تتلف بأيدي تلك الطواغيت الخارجة إليهم في أكثر المواقيت وما كان يفلت من الخراب يغرمونه في المغارم، وما يجشمونه من المجاشم، فقطعوا أيامهم بقرع الظنابيب[4]، وشرع الأنابيب قعدة لا نكايات مردة ،إذ كان كل واحد منهم يخفي عن قرنه بقصره ويطيل الهز لسيف غيره، ويسله على جاره، حتى غدا ذلك السيف مسلولا عليه.

ويصف ابن الخطيب حال الأندلس عقب الفتنة وقيام دول الطوائف فيقول:" وذهب أهل الأندلس من الانشقاق، والانشعاب، والافتراق، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع

---

[1]- **دول الطوائف** :هي نواحي وعمالات واسعة مثل طليطلة واشبيلية ، والبعض الأخر لا يزيد عن مدينة و حوزها مثل دانية : حسين مؤنس المرجع السابق ،ص93.

[2]- **ملوك الطوائف** :هم بين وزير سابق وقائد من ذوي النفوذ والصحب وحاكم لإحدى المدن وشيخ للقضاء وزعيم من ذوي المال: محمد عبد الله عنان المرجع السابق ج2 ص 15.

[3]- محمد عبد الله عنان، نفس المرجع، والصفحة.

[4]- **الظنابيب**: قرع للأمر طنوبه، وهو عظم الساق استعد له وتهيأ، ابن بسام، المصدر السابق ق 1، مج1، هـ1، ص 254.

امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الامارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار وجندوا الجنود وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بأبوابهم العلماء وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين مجبوب وبربري مجلوب ومجند غير محبوب، وعقل ليس في السرات بمحسوب، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائرا، و لا لحزب الحق مغايرا، وقصارى أحدهم أن يقول: "أقيم على ما بيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه" ولوجاء عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه، ولا لقى خيرا لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك أجالا، وأعمارا وخلفوا آثار وإن كانوا لم يألوا غير آراء من معتمد ومعتضد، ومرتضى وموفي ومستكف ومستظهر ومستعين ومنصور وناصر ومتوكل [1].

هذا الوضع الذي آل إليه ملوك الطوائف أسال لعاب أولئك الكفرة الفجرة، من النصارى ولاحت أنظارهم لافتتاح المدن كما يقول ابن بسام" لأن النصارى لما اطلعوا على عوراتهم زحفوا بطوائفهم إليهم"[2]، كذلك يقول: "ولولا فرط الذنوب لما كان لريحهم علينا (من) هبوب ولو كان شملنا منتظما وشعبنا ملتأما...، لما طاش لنا سهم ولا سقط لنا نجم، ولا ذل لنا حزب، ..."[3]

ويصور لنا ابن بسام ما آل اليه ملوك الطوائف الجبابرة ويقدم لنا حالة البلاد المزرية فيقول " فكم حال كانت بخروجه تتلف، ونعمة بأيدي طاغيته تنتسف، والرعية حاطها الله- في هذا العام

1- ابن بسام: المصدر السابق،ق1،مج2،ص 943.

2- ابن بسام نفس المصدر والصفحة .

3-ابن بسام:المصدر نفسه، ق3،مج1،ص178.

على ما يقتضيه ما عم البلاد من الفساد، وشملها من جائحة القحط، والجراد...ولما كلب العدو قصمه الله في ذلك التاريخ، وأعضل داؤه وجعل يطأ بلاد المسلمين آمنا لا يخاف، وآنسا لا يستوحش، مقدما لا يكع ومجترئا لا يرتع ينزل بساحات القواعد الرفيعة، والقلاع المنيعة فيعفى الآثار و يستبيح الدمار، ويهتك مصون الأستار، ورمت لها الأنوف واستعذبت معها الحتوف، وحميت منها النفوس الأبية والعدو في كل ذلك ثلج الفؤاد، رابط الجأش، لا يرقب سنان دافع، ولا يبدونه وضح سيف مدافع لأن أكثر ملوك هذا الاقليم كانوا يداخلون طوائف الروم، ويكتري كل واحد منهم عسكرا يحمله من المال، يخرجه إلى بلد كاسحه ويسلطه على معانده ممن يجاوره من البلاد حسدا له وطعما في بلده أن يصير طوع يده، فكانت نيران الفتنة بينهم مشتعلة والرعية مهملة.[1]

وهذا الوضع الذي استحال إليه ملوك الطوائف جعل المدن والحصون الأندلسية تقع في يد النصارى ويورد ذلك ابن بسام في الرسالة التي كتبها أبو عبد الله عن صاحبه ليوسف بن تاشفين فيقول: "من قبل هذا ما كنت خاطبتك أيدك الله- بالنازلة في مدينة قورية[2]- أعادها الله- وأنها مؤذنة الجزيرة بالخلاء، ومن فيها من المسلمين بالجلاء، ثم ما زال ذلك التخاذل يتزايد، والتدابر يتساند حتى تخلصت القضية، وتعجلت البلية، وحصلت في العدو، قصمه الله، مدينة سرتة[3] وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع في الحصانة ولامتناع وهي من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة، يدركها من جميع نواحيها ويستوي في الاستضرار بها قاصيها، ودانيها..." [4]

كذلك من المدن التي ذكرها ابن بسام نقلا عن غيره والتي أصبحت في يد العدو الغاصب مدينة بربشتر، ففي سنة 456هـ/1064م،تغلب النصارى على هذه المدينة قصبته بلد برطانية ما

---

[1]- ابن بسام المصدر السابق، ق2، مج1، ص 254.

[2]- **قورية**: من مدن الثغر الأدنى في غرب الأندلس، مجهول الحلل الموشية، هـ 56، ص 35.

[3]- **سرتة**: من مدن قشالة القديمة، وكانت ضمن بلدان الثغر الأعلى ،مجهول نفس المصدر والصفحة.

[4]- ابن بسام :المصدر السابق ق 2، مج2، ص 655.

بين لاردة وسرقسطة، وهي من الثغور العالية[1]، وهذه المدن بعد أن أصبحت في يد العدو ذاق قاطنوها ويلات الاستغلال والتنكيل، ومن نماذج ما حدث لسكان هذه المدن يورده ابن بسام في الرسالة التي اقتضبها ، وكان كتبها الكاتب أبي محمد عبد الله على ألسنة أهل بربشتر، عنوانها "من الثغور القاصية، والأطراف النائية المعتقدين للتوحيد المعترفين بالوعد، والوعيد...أما بعد حرسكم الله بعينه التي لا تنام، فإنا خاطبناكم مستنفرين، وكاتبناكم مستغيثين، وأجفاننا قرحى، وأكبادنا حرى ونفوسنا منطبقة وقلوبنا محترقة ،على حين نشر الكفر جناحيه، وأبدى الشرك ناجذيه، واستطار شرر الشر ومسنا وأهلنا الضرر أحسن ما كنا بالأيام ظنا، ونقص عليكم هذا هو حال الجزيرة وما آلت إليه وقد كان ابن عباد قبل هذا لمّا رأى أمره في إدبار، وأن أذفنش قد عزم عليه شاور خاصته ووجوه دولته في شأن استدعاء يوسف بن تاشفين.[(2)]

2. النزاع المرابطي النصراني:

هذا الوضع المتأزم للأندلس جعل قاطني الجزيرة يوجهون أبصارهم صوب الدولة المرابطية بالمغرب كما يقول ابن بسام: "ولما لم يبق إلا نفس خافت ورمق زاهق، ورأى المسلمون أنهم بالجزيرة على طرف، وفي سبيل تمام وتلف استصرخوا أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين[(3)] رحمه الله، ويقول صاحب الحلل الموشية أنه " في سنة 474هـ/1081م، وفد عليه جماعة من أهل الأندلس، وشكوا إليه ماحلّ بهم من أعدائهم، فودعهم بامدادهم واعانتهم وصرفهم إلى أوطانهم[(4)] وكتب عبد الله بن الأفطس عن صاحبه وكانت ثالثة المفاتحة كما يذكر ابن بسام وهذا نصها:

"لمّا كان نور الهدى أيدك الله دليلك، وسبيل الخير سبيلك ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، وصح العلم بأنك لدعوة الاسلام أعز ناصر وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تستدعي لما أعضل من الداء، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء، فقد كانت

---

[1]-ابن بسام :المصدر نفسه ،ق3،مج1، ص179

[2]- مجهول، المصدر السابق، ص 44.

[3]- يوسف بن تاشفين: هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت ابن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أميمة، ابن أبي زرع المصدر السابق ص 137 .

[4]- مجهول: المصدر السابق،ص33

طوائف العدو المطيفة بها- أهلكم الله، عند إفراط تسلطها، واعتدائها وشدة كلبها، واستشرائها، تلاطف بالاحتيال وتستنزل بالأموال، ويخرج لها عن كل ذخيرة، وتسترضي بكل نفسية خطيرة، ولم يزل دأبها التشطّط والعناد، ودأبنا الاذعان والانقياد حتى استصفى الطريق والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد وأيقنوا الآن بضعف المنن، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن واضطرمت في كل جهة نارهم، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ومن أخطأه القتل منهم فإنما هم بأيديهم أسرى، وسبايا يمتحنونهم بأنواع المحن، والبلايا، وقد هموا بما أرادوه من التوثب وأشرفوا على ما أملوا من التغلب، فيا لله ويا للمسلمين، أيسطوا هكذا بالحق الافك، ويغلب التوحيد الشرك ويظهر عل الايمان الكفر ولا يكنف هذه الملة النصر؟ ألا ناصر لهذا الدين المهتضم ، ولا حامي لما استبيح من حمى الحرم، وإن لله على ما لحق عرشه من ثل وعزه من ذل فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء، والبلية التي ليس مثلها بلاء، ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك، أيدك الله، بالنازلة في مدينة قورية أعادها الله وأنها مؤذنة الجزيرة بالخلاء، ومن فيها من المسلمين بالجلاء ثم ما زال ذلك التخاذل يتزايد والتدابر يتساند حتى تخلصت القضية، وتعجلت البلية، وحصلت في يد العدو، قصمة الله مدينة سرته وعليها قلعة تجاوزت حد قلاع في الحصانة والامتناع وهي من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة يدركها من جميع نواحيها، ويستوي في الاستضرار بها قاصيها ودانيها وما هو إلا نفس خافت ورمق زاهق"[1] "ان لم تبادروا بجماعتكم عجالا وتتداركوها ركبانا ورجالا وتنفروا نحوها خفافا وثقالا، وما أحضكم على الجهاد بهما في كتاب الله تعالى، فانكم له أتلى ولا أحرضكم على التسرع اليه بما في حديث رسوله عليه السلام فاكم الى معرفته أهدى"[2].

"وكتابي هذا جملة: الشيخ الفقيه الواعظ يفصلها، ومشتمل على نكتة هو يوضحها، ويبينها، فإنه لما توجه نحوك احتسبا، وتكلف المشقة إليك طالبا ثوابا، عولت على بيانه، ووثقت في عرض

[1]- ابن بسام: المصدر السابق ص 654.

[2]- ابن بسام : المصدر السابق، ص 654-655.

الحال عليك بفصاحة لسانه، وأنت بفضلك تستوعب ما يؤديه استيعاب المستوفي، وتصغي إلى ما ينهيه إصغاء الواعي، وتجد منه مضض المرتمض، وتتحرك الممتعض.

ثم لم يزل يستشري الداء، ويعم أقطار الجزيرة البلاء، وأمير المسلمين، وناصر الدين ــرحمه اللهــ مشغول ببقية حرب الطوائف البرابرة المتغلبين ــكانواــ على أقطار العدوة، فلم يزل يميط أذاها، و يضرح قذاها، حتى سلك سبيلها، وطاب مستقرها ، ومقيلها، وكان من أشد تلك الطوائف أيدا،وأمتنا كيدا العز بن سقوت،المتغلب ــكانــ على مدينة سبتة و ماوالاها ،فإنه جاهز بالخلاف سماعا، وعيانا، وشغل أمير المسلمين ــرحمه اللهــ عن تلاقي هذه الجزيرة زمانا، إلى أن بلغ الكتاب أجله، ووقته، وفتحت على يديه سبتة" [1] .

ولما وصل هذا الخطاب لأمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، كتب إلى المتوكل بن الأفطس يعده بالجواز، ومساندتهم ضد العدو[2]،ولما اضطربت العلاقة بين ألفونسو السادس، والمعتمد بن عباد بعدما كان يؤدي له الجزية، فقرر ابن عباد الاستنجاد بالقوة المرابطية، وشاور ابن عباد خاصته، ووجوه دولته في الاستنجاد. بيوسف بن تاشفين، ولكنهم حذروه، وأشاروا عليه بمهادنة ألفونسو فقالو له: "أن ذلك أفضل من تجويز المرابطين تم إنه خلا بعد ذلك بابنه، وولى عهد الرشيد أبي الحسن عبيد الله، وقال له: يا عبيد الله إنّا في هذا الأندلس، غرباء بين بحر مظلم، وعدو مجرم، وليس لنا ولي ولا ناصر إلا الله تعالى، وأن إخواننا، وجيراننا ملوك الأندلس ليس لنا فيهم نفع، ولا ترجى منهم نصرة ،ولا جنه إن نزل بنا مصاب، أو نالنا عدو ثقيل، وهذا اللعين أذفنش قد أخذ طليطلة من يد ابن ذي النون، بعد سنة 470هـ/1077م، وعادت دار كفر، وها هو قد رفع رأسه إلينا، وإن نزل علينا بكلكله ما يقلع عنا حتى يأخذ إشبيلية[3].

1- ابن بسام، المصدر نفسه،ص655..656

2- مجهول: المصدر السابق، ص36 .

3- مجهول: المصدر نفسه، ص44 .

"ونرى من الرأي أن نبعث إلى هذا الصحراوي، ملك العدوة، ...نستدعيه للجواز ليدفع عنا هذا الكلب اللعين، إذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا، فقد تلف مجبانا، وتبددت أجنادنا، وأبغضتنا العامة، والخاصة قال له ابنه الرشيد: يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا، ويبدد شملنا؟ فقال أي بني، والله لا يسمع عني أبدا أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري، حرز الجمال والله عندي، خير من حرز الخنازير، فقال له ابنه: يا أبت افعل ما أراك الله، فقال: إن الله لم يلهمني هذا إلا وفيه خير وصلاح لنا، ولكافة المسلمين[1] وقد أشار مشايخ قرطبة[2]بعد أن ذهبوا إلى القاضي عبد الله بن محمد برأي وهو الكتابة إلى عرب إفريقية[3] قال لهم " إذا وصلوا إلينا يخربون بلادنا كما فعلو بإفريقية، ويتركون الفرنج[4]ويبدؤون بكم، والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا فأمروه بمراسلة أمير المسلمين للعبور إليهم وأتى ابن عماد وهم يتحدثون فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا يتحدثون فيه، فقال له ابن عباد وأنت رسولي فعارض ،ثم قبل وهكذا اجتمع رأي الفقهاء مع رأي ابن عياد في استدعاء المرابطين[5].

ولما توالت المراسلات والخطابات على يوسف ابن تاشفين، استشار إخوته ورجال دولته وقال لهم:" ما ترون فيما كتب هذا الرجل" فلما استشارهم أمامهم، قالوا له:"أيد الله أمير المسلمين، أما ما ذكرت من استعانة هذا الرجل بك، فواجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله إعانة أخيه

1- ابن الأثير: المصدر السابق، ص1501.

2- **قرطبة**:قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري):الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ،ط،19842، ص457 .

3- **إفريقية**:عمل كبير عظيم في غرب ديار مصر سميت بإفريقس بن أبرهة ملك اليمن لأنه غزاها وافتتحها: الحميري: المصدر السابق،ص48.

4- **الفرنج**:أمة عظيمة لها بلاد واسعة، وممالك كثيرة، وهم نصارى ينسبون إلى جدلهم واسمها أفرنجش: ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج1،ص234.

5- مجهول: المصدر السابق ،ص45،44 .

المسلم...،بعد ذلك انفرد بأحد كتابه، وهو عبد الرحمن بن أسباط[1]،وكان أندلسيا من أهل مدينة ألمرية[2]واستشاره فقال له: "واجب على كل مسلم إغاثة أخيه المسلم والانتصار له، غير أن لي كلاما أنهيه إليكم فقال له: قل ما عندك يا عبد الرحمن، فقال له: أيد الله الأمير تعلمون أن الأندلس جزيرة مقطوعة في البحر. ..والحال كما ترونه، والنظر إليكم، فاكتب إليه أنك لا يمكنك الجواز إليه إلا أن يعطيك الجزيرة الخضراء[3]،فتجعل فيها ثقاتك وأجنادك، ويكون الجواز بيدك متى شئت" وأبلغ يوسف المعتمد بموافقته على العبور إلى الأندلس بهذا الشرط، وعند ورود كتاب يوسف على ابن عباد، سارع دون تردد في الاستجابة لمطلب ابن تاشفين، وأمر ولده الراضي يزيد الوالي على الجزيرة الخضراء بإخلائها[4].

وشرع ابن تاشفين في العبور للأندلس بعدما قدمت عليه الوفود، وأتاه من بلاد الصحراء، والقبلة و الزاب القبائل، والحشود[5]، ولما اجتمع ليوسف بن تاشفين سبعة ألاف فارس، عبر البحر بعسكر مهول، وعبر من مدينة سبتة فنزل المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، والتقى بالمعتمد بن عباد[6]مع أعيان دولته، وبالغ في إكرامه، وبره، وقدم له الهدايا ما لم يضنه يوسف عند ملك ،ثم غادر الجزيرة الخضراء بجيوشه متجها شرق الأندلس وعرض عليه المعتمد دخول إشبيلية، دار ملكه للاستراحة فرفض يوسف بن تاشفين وقال له نيتي الجهاد ومتابعة أوكار العدو[7]، ويقول بن بسام أن

1– **عبد الرحمن بن اسباط** ، توفي بسبتة سنة 487 ، وتقلد كتابة يوسف بن تاشفين بعده أبو بكر بن القصيرة ، مجهول المصدر السابق ،ه50 ، ص 91.

2– **ألمرية**:هي أشهر مراكز الأندلس المتوسطية بناها عبد الرحمن الناصر،مجهول المصدر نفسه ص49.

3– **الجزيرة الخضراء** : مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البرسبتة، وأعمالها متصلة شذونة، وهي شرقي شذونة، ياقوت الحموي المصدر السابق ص756 .

4– مجهول: المصدر السابق ص49،51 .

5– ابن أبي زرع المصدر السابق ،ص145 .

6– **المعتمد بن عباد**: هو محمد ابن سماعيل بن محمد بن سماعيل بن قريش بن عباد، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار وغرناطة، تح، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، 1394-1974م، القاهرة، مج2، ص109.

7– المراكشي: المصدر السابق، ص92-93.

جواز بن تاشفين للأندلس كان في صدر سنة أربعمائة و تسع وسبعين هجرية479هـ/1086م، وبادر بنفسه، وجماعته راكبين، وراجلين[1].

"وأرسل (أمير المسلمين) عند حلوله بإشبيلية، عن جميع الرؤساء، فأما ابن صمادح[2]، فأبي عليه (وبقي) متربصا ليرى كيفية الأمر، ومخرجه مع الروم، واعتذر بكبر السن مع الضعف، وأرسل ابنه معتذرا، وبادرنا نحن إلى الخروج، وسررنا بذلك، وأعددنا ما استطعنا عليه للجهاد بأموالنا، ورجالنا، وقدمنا الهدية إلى أمير المسلمين، وأمرنا بضرب الطبل، وما يستعد به للفرح، ولقينا أمير المسلمين في طريقه إلى بطليوس[3]بجيشه، ورأينا من إكرامه لنا، وتحفيه بنا ما زادنا ذلك فيه رغبة لو إستطعنا أن نمنحه كرمنا فضلا على أموالنا، ولقينا المتوكل ابن الأفطس محتفلا: كل يرغب في الجهاد، قد أعمل جهده، ووطن على الموت نفسه"[4].

ويقول صاحب الاستقصاء، أن يوسف بن تاشفين نزل بالجزيرة الخضراء وصلى بها الظهر في يومه، والتقى بالمعتمد بن عباد وصاحب إشبيلية، وابن الأفطس صاحب بطليوس، وغيرهم من ملوك الأندلس، واتصل الخبر، بالأذفونش، وهو محاصر لسرقسطة فارتحل منها، وقصد أمير المسلمين،

1- ابن بسام: المصدر السابق/ مج 1، ج2، ص254.

2- **ابن صمادح**: أحد ملوك الأندلس، وكانت قصبة ملكه ألمرية: ابن دحية (أبي الخطاب عمر بن حسن)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح، إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، المطبعة الأميرية، دون طبعة، 1954م، هـ4، 122.

3- **بطليوس**: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص491.

4- عبد الله بن بلكين ابن باديس بن حبوس: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تح، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ،ط1427،1هـ/2006م،ص133

وبعث إلى ابن رذمير[1] والبرهانس[2]، وغيرهما من كبار النصرانية، واستنفر أهل قشتالة[3]وجليقية وسائر المجاورين له من أمم النصرانية، فاجتمع له منهم ما يفوت الحصر([4]).

ويورد بن بسام كتاب من إنشاء ابن القصيرة يشرح هذا الفتح، وتفاصيل الزلاقة، فيقول: "وقد علم ما كنا قبل مع عدو الله أذفونش بن فردلند، قصمه الله، من تطأطؤنا، واستعلائه، وتقامثنا، و انتخائه، وأنا لم نجد لدائه دواء، ولا لبلائه انقضاء، ولا لمدة الامتحان به فناءا"[(5)].

إلى أن سنى الله تعالى من استصراخ أمير المسلمين، وناصر الدين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين معقلي الأحمى –أيده الله– ما سنى: وأدنى من نأي دياره وشحط مزاره ما أدنى، فلم أزل أصل بيني وبينه الأسباب، وأستفتح إلى ما كنت أتخيل من نصره الأبواب، إلى أن ارتفعت الموانع قبله، وانتهجت السبل القصية له، ثم أجاز – على بركة الله وعونه– يريش، ويبري، وصار بعد قدما يخلق، ويفري، ويتتبع وجوه الحزامة كيفما اتجهت، ويستقري، وأنا أنجده بوسعي، وأسعده على حسب ما يطيقه ذرعي إلى أن صرنا معشر الحلفاء ببطليوس – حرسها الله– واتفق رأينا بعد تشاور على قصد قورية – حرسها الله– وسمع العدو–لعنه الله– بذلك فصمد من محتشده إليها في جيوش تملأ الفضاء، وتسد الهواء، وتمنع أن تقع على ما تحت راياته ذكاء، قد تحصنوا بالحديد من قرونهم إلى أقدامهم، واتخذوا من السلاح ما يزيد في جرأتهم، وإقدامهم، ولما أشرف على جنابها، ولسنابها، ودنا من أعلامها، ولم يتجه لنا بعد ما أردنا من إلمامها، دعاه تعاظمه إلى مواجهة سبيلنا، وحمله نفجه، وتهوره على السلوك في مدرج سيولنا"[(6)].

---

[1]– **ابن رذمير**: هو الملك ألفونسو الأول ملك أراكون: ابن أبي زرع، المصدر السابق، هـ86، ص146.

[2]– **البرهانس**: هو القائد الفشتالي النصراني ألبارغانيت: ابن أخي السيد القنبيطور كان من أكبر قواد ألفونسو السادس: ابن أبي زرع نفس المصدر، والصفحة.

[3]– **قشتالة**: عمل من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سمى العمل بها، الحميري، المصدر السابق، ص484.

[4]–

[5]– ابن بسام، المصدر السابق، ص242.

[6]– ابن بسام، نفس المصدر، ص243.

"فدنونا إليه بمحلاتنا —نصرها الله– ثم اضطر بناها بإزائه، وأطلنا عليه براياتنا حتى كدنا نركزها بفنائه، ورأى — لعنة الله– ما اعتمدناه من إصغاره، وإخائه، فأجمع مضطرا على اللقاء، وقدم بعض أخبيته دهشا في الرقعة التي كانت بيننا على صغرها من بساط الفضاء، وقد تيقن أنه إن أخذ المسلمون مصافهم، ورتبوا في مواقعهم كوافهم، اصطلم عن آخره جمعه، واجتث أصله، وفرعه، فاهتبل فيما قدر غرة، وحمل ولم يكن — بحمد الله — ما استشعره مرة فتنادى المسلمون بشعارهم المنصور، وأقبلو عليه، وعلى من معه في حال مؤذنة بالظهور والوفور نتوافق قليلا الجمعان، وتجاور مليا الفريقان، وللسيوف حكمها، ومن الحتوف حدها المفهوم، ورسمها، ثم صدق أمير المسلمين وناصر الدين — أيده الله — الحملة، وصدم في جمع لم يكثر عدد الجملة فلم يلبث أعداء الله أن ولوا الأدبار، واستصرخوا الفرار، واتبعهم خيل المسلمين — نصرهم الله — بقية اليوم والليلة تقتلهم في كل غور ونجد، وتقتضي أرواحهم على حالين من كالئ ونقد، ولم يخلص منهم على أيدي المتبعين — أجرهم على الله — إلا من سيلتهمه البعد، ويأتي على حشاشته الجهد، وأما محلتهم فانتهبت في أول وهلة، وشربت بأسرها في نهلة"[1].

"ولم يصب بحمد الله من المسلمين — وفرهم الله– على هول المقام، وشدة الإقتحام، كثير ولامات من أعلامهم تحت تلك الجولة إلا عدد يسير، فإن كان أذفونش – لعنه الله– لم يمت تحت السيوف بددا، فسيموت لا محال أسفا، وكمدا، ونحمد الله على ما يسره من هذا الفتح الجليل وسناه، ومنحه من هذا الصنع الجميل وأولاه"[2].

ويقول المؤرخون أن غزوة الزلاقة كانت أول غزوة غزاها المرابطون بالأندلس وكانت بفحص الزلاقة[3]

[1]– ابن بسام، المصدر السابق ص243،244.

[2]– ابن بسام المصدر نفسه ،ص244.

[3]– **الزلاقة:** بطحاء الزلاقة من إقليم بطليوس من غرب الأندلس فيها كانت الواقعة الشهيرة على الطاغية عظيم الجلالقة أذفونش، الحميري، المصدر السابق ص288.

وكانت "يوم الجمعة الثاني عشر لرجب الفرد سنة479هـ/1086م"[1]، وكان عسكر المسلمين نحو ألف فارس منها أربعة وعشرون ألفا من فرسان الأندلسيين وندها أو أكثر من المرابطين وأهل الأندلس، وكان أمير المسلمين قدم كتابا لأذفونش على مقتضى السنة، يعرض عليه الدخول في الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وغضب أذفونش، وفضل القتال[2].

وكان يوسف بن تاشفين قدم بين يديه قائده أبا سليمان داوود بن عائشة، وتولى سير بن أبي بكر قيادة قبائل المغرب، وزناتة، والمصامدة، وغمارة وغيرها.

واحتدم الصراع بين الطرفين، وكان النصر للمسلمين في هذه المعركة العظيمة، وفي هذا اليوم أطلق على يوسف بن تاشفين اسم أمير المسلمين.

يقول ابن بسام:

"فإذا أراد الله نصر الدين ❁ استصرخ الناس ابن تاشفين

فجاءهم كالصبح في إثر غسق ❁ مستدركا لما تبقى من رمق

وافى أبو يعقوب كالعقاب ❁ فجرد السيف من القراب

وواصل السير إلى الزلاقة ❁ وساقه ليومها ما ساقه

لله در مثلها من وقعة ❁ قامت بنصر الدين يوم الجمعة

وثل للشرك هناك عرشه ❁ لم يغن عنه يومه أذفنشه

---

[1]- مجهول: المصدر السابق، ص57-59، واختلفت الروايات الإسلامية في تحديد تاريخ معركة الزلاقة ،فيقول ابن الأثير أنها كانت في أوائل رمضان سنة 479هـ، ويقول المراكشي أنها كانت في رمضان سنة 480هـ.

[2]- مجهول المصدر نفسه، ص53-55.

فوجب الخلع لذي الخلاعة ❁ وصرحوا ليوسف بالطاعة

واتصل الأمر على نظام ❁ وامتد ظل الله للإسلام

وانصرفت على العدو الكرة ❁ ورجع الجمع كأولى مرة..."[1]

ويورد ابن بسام رقعة لابن القصيرة بعزيمة أذفرنش يقول:

"كتبت يوم السبت الثالث عشر من رجب، وقد أعز الله الدين، وأظهر المسلمين، وفتح لهم بفضله على يدي مسعانا الفتح المبين، بما يسر الله أمسّه، وسناه، وقدره سبحانه، وقضاه، من هزيمة أذفونش بن فردند – أصلاه الله–إن كان طاح– الجحيم، ولا أعدمه–إن كان أمهل– العيش الذميم، كما قنعه الخزي العظيم، وإتيان القتل على أكابر رجاله، وحماته، واخذ النهب في سائر اليوم، والليلة المتصل به إلى جميع محلاته، وحضور العدد الوافر بين يدي من رؤسهم، ولم يحتز منها إلا ما قرب، وامتلاء الأيادي مما قبض، ونهب، واتخذ الناس هاماتهم صوامع يؤذنون عليها..."[2].

وكان للزلاقة عدة نتائج نجملها في مايلي:

أدّى هذا الانتصار إلى توطيد مكانة يوسف بن تاشفين عند رعية الأندلس، وأبرزه كقائد ذا خبرة قادر على توحيد الأندلس تحت رايته، كما أسفر عن رفع معنويات الأندلسيين بعد الإحباطات التي تعرضوا لها من قبل الممالك المسيحية، ولم يعد ملوك الطوائف، ملزمين على دفع الجزية لأنفونسو، والمعركة وضعت حدا لهذا الأخير في مخططه لاحتلال الأندلس[3]، وعبر عن هذا أمير غرناطة ابن بلكين بقوله: أنه "أشرب الروم من تلك الوقعة خوفا، وانكماشا"[4] ومن جهة أخرى، فالمعركة كشفت الستار عن الشقاقات التي كانت بين ملوك الطوائف، وتأكد يوسف بن تاشفين من هذا

1– ابن بسام، المصدر السابق: ق1 ،مج2، ص944.

2– ابن بسام، المصدر نفسه ، ص241.

3– بوتشيش ، المرجع السابق ، ص14 .

4– ابن بلكين، المصدر السابق، ص137.

الإنشاق خلال جوازه الثاني للأندلس سنة 481هـ/1088م لحصار حصن لبيط[1]، وقد فشل الحصار[2] وبعد المعركة جاء خبر ليوسف بن بوفاة ابن أبي بكر[3]فقفل راجعا للمغرب[4]، وقبل عودة يوسف بن تاشفين الى مراكش، ولي قيادة جيش المرابطي في الأندلس لقائده سير أبي بكر[5]، ووصل سير مع أمير بطليموس إلى أواسط البرتغال الحالية مما يلي نهر تاجة، وأثخنا في تلك النواحي تخريبا، وأسرا كل سكانها العزل، وسار المعتمد أمير إشبيلية في قوة كبيرة من الفرسان على ولاية طليطلة[6]، وإستولى على عدة مدن من بينها أقليش[7]، وقونقة، ووبدة[8]، وغيرها، ثم إتجه ابن عباد إلى أرض مرسية[9]حيث إستقرت جموع كبيرة من الفرسان النصارى بقيادة الكنبيطور[10]في أحد الحصون القريبة، وأخذت من هناك في الإغارة على المدن الإسلامية خاصة على مدينة ألمرية، فاشتبك ابن عباد مع الكنبيطور، ولكنه انهزم، واضطر إلى الفرار، ولم ينقذه من مطاردة النصارى له سوى التجاءه إلى قلعة لورقة في كنف واليها محمد بن لبونة ثم تركها متجها نحو قرطبة تاركا مرسية، في أثناء ذلك

1- **لبيط أو لبيط**: وهو الذي يدعوه الإسبان بAledo، وهو حصن حصين على رأس جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم، مجهول المصدر السابق، ص67.

2- بوتشيش، المرجع السابق، ص14.

3- **أبي بكر سيرين يوسف بن تاشفين**، يبدو أنه كان أكبر أبناء يوسف ابن تاشفين وكان رشحه لولاية العرش ابن الأثار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القاعي): الحالة السيراء، تج، حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، 1995، ص101.

4- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص153.

5- **سيرين أبي بكر**: أحد رؤساء اللمتونيين، ابن الآثار، المصدر السابق، ص103.

6- **طليطلة**: بالأندلس ينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلا، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، الحميري: المصدر السابق، ص394.

7- **أقليش**: مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كورشنتبرية: الحميري، المصدر السابق، ص52.

8- **وبدة**: مدينة بالأندلس، وهي حصن على واد بقرب إقليش: الحميري: المصدر السابق، ص608.

9- **مرسية**: هي قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت دار العمال، وقرار النفواد، الحميري: المصدر السابق ص540 .

10- **الكنبيطور**: هو فارس قشتالي، واسمه الأصلي رودريجوأوروبدياث دي بيبار أما تلقيه بالسيد "Elaid" فهو تحريف لكلمة "السيد" العربية، وقدأطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم، محمد عبد الله عنان المرجع السابق ص233.

بدأت جموع النصارى بعدما وصلتهم قوة من القشتاليين أرسها ألفونسو السادس، تهدد مدن شرق الأندلس من حصن لبيط المنيع الواقع على مسيرة يوم من لورقة[1]، فكانوا يخرجون منه للغزو والإغارة على الأراضي الإسلامية المجاورة لهم[2]،في ظل هذا الوضع المضطرب كان لزاما عودة يوسف بن تاشفين لنصرة المسلمين.

"وفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثاني برسم الجهاد، وسبب جوازه أن ألفونسو السادس –لعنه الله– لما هزم، وجرح وقتلت جيوشه عمد إلى حصن لبيط الموالي لعمل ابن عباد، فشحنه بالخيل، والرجال، والرماة وأمرهم أن يدخلوا من حصن لبيط المذكور فيغيرون في أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الأندلس...فكانوا يداخلون منه خيلا، فيقتلون ويأسرون في كل يوم، جعلوا ذلك وظيفة عليهم، فساء ابن عباد ذلك وضاق ذرعا.

فلما رأى تماديهم على ذلك عبر البحر إلى العدوة إلى لقاء أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين"[3]، فلقيه بالمعمورة على حلق واد سبو[4]، ومن بين الذين وفدوا على أمير المسلمين وشكوا إليه سوء حالهم أهل بلنسيه[5]ومرسية، ولورقة، وبسطة، فلم يزل وجوه الأندلس، وابن عباد يترددون على أمير المسلمين حتى وعدهم بالجواز إليهم[6](فركب البحر من قصر المجاز إلى الجزيرة الخضراء فتلقاه ابن عباد بها بألف دابة تحمل الميرة، والضيافة فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد، وقال لهم: "الموعد بيننا حصن لبيط، ثم تحرك يوسف من الجزيرة

1– **لورقة**: بالأندلس من بلاد تدمير، إحدى المعاقل السبعة التي عاهد عليها تدمير، الحميري، المصدر اليابق، ص513.

2– يوسف أشباخ:**تاريخ الأندلس في عهد المرابطبن والموحدين**، الهيئة العامة لشؤون المطابع، تج، محمد عبد اله عنان، ج1، القاهرة، ص95.

3– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص153.

4– **وادي سبو**: على نحو ثلاثة أيام من فاس، وفيه يصب وادي فاس، الحميري: المصدر السابق، ص608.

5– **بلنسية**: في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة، ستة عشر يوما وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما وهي مدينية سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلي، الحميري: المصدر نفسه، ص98.

6– ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص53.

الخصراء، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة (إحدى وثمانين وأربعمائة هجرية481هـ)(يونيو 1088م) فنزل على حصن لبيط، فلم يأته ممن كتب إليه من أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية، والمعتمد ابن عباد.)[1].

ويذكر ابن بسام أن الوزير أبو العلاء كان مقيما بشرق الأندلس إلى أن غزى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين حصن لبيط، وانضم إليه واتجهت الحشود لحصن لبيط[2]

وخلال حصار الحصن وقعت بعض الأحداث المؤسفة في المعسكر الإسلامي، فقد بدأ أمراء الأندلس يحكمون يوسف في خلافاتهم، فالمعتمد شكى إليه خروج ابن رشيق صاحب مرسية عن الطاعة، ودفعه لأنفونسو السادس تقربا إليه[3]، فحضر ابن رشيق، واستفتى يوسف بن تاشفين في أمر الفقهاء فوجب الحكم على ابن رشيق، فأمر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه، وإسلامه في يد ابن عباد، ونهاه عن قتله، فثقفه ابن عباد فهرب للحين أصحاب ابن رشيق، وقرابته، وجمع محلته إلى مرسية، وانتزوا بها، وارتفع السعر فيها فضاقت بالناس الأحوال"[4]. ولما رأى ألفونسو السادس ذلك حشد، واتجه لحماية حصن لبيط، فلما قرب ألفونسو من لبيط انحرف له يوسف عن الحصن إلى جهة لورقة، ثم إلى ألميريا، ثم جاز إلى العدوة، أقبل ألفونسو السادس حتى نزل على لبيط فأخلاه، وأخرج من كان فيه من بقايا النصارى المنفلتين من مخالب الموت واتجه إلى طليطلة، وأخذ ابن عباد الحصن بعد إخلائه وكان الحصن يحوي من النصارى نحو أثني عشر ألف مقاتل دون العيال، والأطفال، ومات جميعهم بالقتل والجوع ولم يبقى فيه غير مئة من الرجال الذين أخرجهم ألفونسو[5]،

1- ابن بسام ، المصدر السابق ، ص 220.

2-ابن بسام: المصدر السابق ،ص220.

3- ابن بلكين المصدر السابق، ص139،137 .

4- مجهول المصدر السابق، ص 69،70.

5- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص154.

وهنا تبين لنا أن يوسف بن تاشفين اتضحت له معالم تخاذل ملوك الأندلس وتعاونهم مع النصارى ولهذا أعزم على التخلص من ملوك الطوائف، وسنتناول هذا الموضوع في المبحث الموالي.

يتواصل صراع المرابطين مع النصارى خلال جواز يوسف بن تاشفين الثالث و خلعه لملوك الطوائف كما يذكر ابن بلكين «و صرف المرابطون وجوههم الى فتنة الروم ، ومقاصاتها ، بعد إكمالهم لأخذ سلاطين الأندلس [1]، وبعد ان سار القائد المرابطي داوود بن عائشة إلى مدينة شقورة فملكها و كان هذا سنة 485هـ/1092م[2] .

و في هذه السنة اضطربت الأمور في بلنسية بعدما اشتدت وطأة الطاغية لذريق الملقب بالكمبيطور ، وأثقل كاهل أهل بلنسية بالضرائب و استغلالهم في الريف و المدينة ، ولهذا تطلع أهل بلنسية إلى الخلاص من حكم القادر بن ذي النون الذي كان تسانده قشتالة وملكها ألفونسو السادس و قائده السيد الكمبيطور ، وهذا الأخير كان يعتبر بلنسية ملكا له و نتيجة لهذا أراد أهل بلنسية التخلص من السيطرة القشتالية ، واتجهوا بأبصارهم إلى المرابطين ، فلما سمع البلنسيون بوجود القائد المرابطي ابن عائشة في مرسية إنتهزوا خروج الكمبيطور إلى سرقسطة ، فأرسلو قاضي مدينتهم ابن جحاف[3] على رأس وفد أهل المدينة للقاء ابن عائشة و طلبوا منه العون ، والمساعدة في مقابل دخول بلنسية في طاعة المرابطين[4] .

واستجاب ابن عائشة لطلبهم ، وأرسل قائده أبا نصر على رأس فرقة عسكرية تمكن بها من شق طريقه إلى بلنسية ، وانهارت أمامه القوة القشتالية المكلفة بالدفاع عن المدينة ، وفتح ابن جحاف

1- ابن بلكين ، المصدر السابق ، ص 210.

2- ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص157 .

3- **ابن جحاف** : هو أبا أحمد بن جحاف متولي القضاء ببلنسية ، ابن بسام ، المصدر السابق ، مج 1، ج3 ، ص95 .

4- ابن عذاري ، المصدر السابق ،ص31 .

أبواب بلنسية أمام المرابطين ، كما قبض ابن جحاف على القادر بن ذي النون [1]..<<فقتله – زعموا –بيد رجل من بن الحديدي [2]>> .

وبويع لابن جحاف بالرياسة [3]، وكان الكمبيطور رجلا سياسيا محنكا فكتب لابن جحاف يهنئه للرياسة و يطلب منه أزوادا له كانت مخزنة في بلنسية ، فرفض ابن جحاف ، وغضب الكمبيطور و أقبل يحاصر المدينة ، وأقسم ان لا يبرحها حتى يظفر بابن جحاف ، ورجع الكمبيطور خلال الحصار إلى الحيلة ، وراس ابن جحاف سرا بعد أن عرف برغبته في التخلص من المرابطين ، واتفقوا على إخراج المرابطين من بلنسية ، و يحل الكمبيطور محلهم [4]، واستصرخ أهل بلنسية على لسان قاضيهم المرابطون ،كما يذكر ابن بسام : ((..وأبو أحمد المذكور أنشوطة ما سهل و سنى ، شرقا بعقبي ماجر على نفسه و جنى ، يستصرخ أمير المسلمين على بعد داره و تراخي مزاره ، فتارة يسمعه و يحركه ، وتارة ينقطع دونه و لا يدركه ، وقد كان من أمير المسلمين بموضع ، ومن رأيه الجميل بمرأى و مسمع، و لكن أبطأ به عن نصره ثنائي الدار ، ونفوذ المقدار ، وإذا قدر الله أمرا فتح أبوابه و يسر أسبابه [5]، فتم للطاغية رذريق (قصمه الله) مراده الذميم من دخول بلنسية سنة ثمان و ثمانين وأربعمائة هجرية488هـ/1095م على و جه من وجوه غدره[6])) ، وبعده دخوله بلنسية شدد الخناق على أهلها و قاضيهم ابن جحاف ، وطالب بمال ابن ذي النون و استصفى كل أموال أهل بلنسية ، وقام بإحراق ابن حجاف ، وبعد ذلك أغرم أهل بلنسية ، و اشتدت وطأته [7]، وهذا الخبر الشنيع حرك أمير المسلمين ، ففي عام(490هـ 1096م) أرسل يوسف بن تاشفين ، قائده

1- ابن عذاري ، المصدر نفسه ،ص31 ،32 .

2- ابن بسام ، المصدر السابق ، ص96 .

3- ابن عذاري ، المصدر السابق ،ص ،32 .

4- ابن عذاري ، نفس المصدر و الصفحة .

5- ابن بسام ، المصدر السابق ، ص98 .

6- ابن بسام ، المصدر نفسه ، ص98 .

7- ابن عذاري ، المصدر السابق ،ص ،37 .

محمد بن الحاج على رأس جيش كثيف التقى مع قوات ألفونسو السادس عن كنسويجر Consueger و أحرز المرابطون انتصارا كبيرا على جموع النصارى ، وقتلوا الابن الوحيد للكمبيطور و اسمه ديجو ، كما أرسل يوسف بن تاشفين فرقة عسكرية مرابطية يقودها ابن عائشة إلى قونقة [1]، والحقوا الهزيمة بفرقة قشتالية على رأسها البرهانس ، ثم مضى بن عائشة إلى جزيرة شقرة و اصطدم بفرقة للكمبيطور و نجى منهم عدد قليل ، وفرو عائدين لبلنسية ، للإشارة فإن الكمبيطور حزن على ولده و اشتد عليه المرض و توفي غما عليه [2].

و تحرك أمير المؤمنين لاسترداد بلنسية "و تجرد أمير المسلمين –رحمه الله – لما بلغه هذا النبأ الفظيع ، واتصل به هذا الرزء الشنيع ، فكانت قذى أجفانه وجماع شأنه و شغل يده و لسانه ، يسرب إليها الرجال ، و الأموال ، وينصب عليها الحبائل ، والجبال ، والحرب هناك سجال [3]، الحال بين العدو و بين عساكر أمير المسلمين في ذلك إدبار و إقبال ، حتى رحض عارها و غسل شنارها ، وكان آخر أمراء أجناده المجهزين في جماهر أعداده الأمير أبو محمد مزدلي ، ظبة جسامه ، وسلك نظامه ، ففتحها الله عليه ، وأذن في تخلصها على يده في شهر رمضان سنة خمس و تسعين وأربعمائة هجرية 495هـ/1101م، كتب الله منزله في عليين و جزاه الله عن جده و جهاده أفضل جزاء المحسنين [4]" ،

"و في سنة ستة وتسعين و أربعمائة هجرية496هـ/1102م، أخذ أمير المسلمين البيعة لولده علي بقرطبة فبايعه جميع أمراء لمتونة ، وأشياخ البلاد و فقهاؤها ، و ذلك في شهر ذي الحجة

1– **قونقة**: أو قونكة ، مدينة تقع على بع خمسة كيلومترا شرقي وبدة ، ابن بسام المصدر نفسه ،ط4 ،ص93 .

2– حمدي عبد المنعم : **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين** ، دار المعرفة الجامعية ، سنة 1997 ،ص 73، نقلا عن ابن الكردبوس : **الاكتفاء في أخبار الخلفاء** ، ص 107-109 .

3– ابن بسام ، المصدر السابق ، ص100 .

4– ابن بسام ، المصدر السابق ، ص100 ،101 .

منها ، وكان علي غائبا بسبتة و بها نشأ [1]"و كان هذا خلال جوازه الرابع ، <<و في سنة سبع و تسعين و أربعمائة497هـ/1103م أخذ يوسف بن تاشفين في الحركة إلى حضرة مراكش من بلاد المغرب ، ولما أكمل أمر البيعة لابنه علي [2]، و ضبط أحوالها [3]>> ، و خلال سنة ثمان و تسعين وأربعمائة498هـ/1104م، مرض أمير المسلمين يوسف وابتدأت العلة و مات منها في مراكش و ازداد مرضه حتى توفي رحمه الله في شهر محرم سنة خمسمائة500هـ/ الموافق للأحد 02 سبتمبر 1106م و عمره مائة سنة [4].

ولما توفي أمير المسلمين صدحت ألسنة الشعراء و النثريين حيث يورد ابن بسام أبيات لأحد الشعراء يقول :"

ملك الملوك و ما تركت لعامل ❁ عملا من التقوى يشارك فيه

يا يوسف ما أنت إلا يوسف ❁ و الكل يعقوب بماطويه

إسمع أمير المسلمين و ناصر الد ❁ ين الذي بنفوسنا نفديه

جوزيت خيرا عن رعيتك التي ❁ لم ترضى فيها غير ما يرضيه

أما مساعيك الكرام فإنها ❁ خرجت عن التحديد والتشبيه

في كل عام غزوة مبرورة ❁ تردي عديد الروم أو تفنيه

تصل الجهاد إلى الجهاد موفقا ❁ حتم القضاء بكل ما تقضيه"[5]

1- ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص157 .

2- **علي** : هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت ، ابن ابي زرع ، المصدر نفسه ، ص158 .

3- ابن عذاري ، المصدر السابق ،ص ،44 .

4- ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص157 .

5- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق2 ،مج 2 ، ص831 .

واتبع الأمير علي نهج أبيه في مجابهة النصارى كما يقول ابن بسام :

<< ثم ولي علي ابن يوسف ❁ مهتديا حكم أبيه يقتفى >>[1]

يقول ابن أبي دينار عن علي ابن يوسف <<....وأقام العدل ، وتولى الجهاد و سار سير أبيه و هديه ، وفوض أحكام البلاد للقضاة ، ودخل الأندلس سنة ثلاثة وخمسمائة هجرية503هـ/1109م فأقام شهرا على طليطلة ، وكان في عسكره مائة ألف فارس[2] ، ففتح عدة قلاع و نكّى فيها الروم و فعل بهم العجائب و رجع إلى المغرب .>>[3].

"وفي سنة اثنتين وخمسمائة هجرية502هـ/1108م كانت وقعة أقليش على النصارى"[4] ويقول ابن الخطيب :"أن هذه الوقيعة كانت ثانية الزلاقة وقتل فيها ولد الطاغية أذفونش[5] ، وفي سنة ثلاثة عشر و خمسمائةهجرية513هـ/1119م، تغلب الفونسو الأول ملك أراغون على بلاد شرق الأندلس و استحوذ على غالبه و أمتلك قلعة أيوب وهي قلعة حصينة و لما علم أمير المسلمين علي جاز إلى الأندلس برسم الجهاد و إصلاح البلاد ، وهو الجواز الثاني ، وجاز معه خلق كثير من المرابطين والعرب و البربر ، ووصل بجيوشه إلى قرطبة فنزل بخارجها واتاه وفد للتسليم عليه ، واطلعوه على شؤون بلادهم ، وعزل ابن رشد عن قضاء قرطبة لأجل اشتكاء ابن رشد عليه كونه اشتغل بتأليف البيان و التحصيل وولى مكانه أبا القاسم ابن حمدين ، ثم ارتحل إلى بلاد شنتمرية ففتحها.

وفي سنة خمسة عشر و خمسمائة هجرية 515هـ/1121م، جاز أمير المسلمين إلى العدوة وولى أخاه تميما جميع بلاد الأندلس وبقي عليها حتى سنة عشرين توفي وولي مكانه الأمير تاشفين

1- ابن بسام ، المصدر نفسه ق1 ،مج2 ، ص944.

2- ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص106 ،107 .

3- ابن أبي دينار ، نفس المصدر ، ص ،107 .

4- ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص 160 .

5- ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص394 .

بن علي و جاز للأندلس في جيش مكون من خمسة آلاف فارس ، وخرج بهم غازيا طليطلة ، ودخل حصنا من حصونها بالسيف [1].

"و توفي الامير علي بن يوسف رحمه الله في شهر رجب ، وقيل شهر رمضان ، من سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة هجرية537هـ/1142م فكان عمره نحو من ستين سنة "[2].

ولما توفي علي بن يوسف بن تاشفين رثاه الشعراء كما يورد ابن بسام في هذه الأبيات :

العيش بعدك يا علي نكال ❁ لاشيء منه سوى العناء ينال

يا عثرة عثر الزمان بأهله ❁ ليت الزمان من الزمان يقال

يا عصمة الفقراء بل يا مالهم ❁ هيهات ما للناس بعدك مال

أبكيك بالدم لا بد معي إنه ❁ يبكي سواء به وذاك محال[3]

وهكذا واجهت الدولة المرابطية القوى النصرانية و جابهتهم وحمت العالم الإسلامي في الاندلس .

1- ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص 165 .

2- ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص394 .

3- ابن بسام ، المصدر السابق ق2 ، مج 2 ، ص828 .

3. النزاع المرابطي وملوك الطوائف

خلال جواز يوسف بن تاشفين الثاني تبين له أن ملوك الأندلس استصرخوه لأجل مصالحهم ، وتبين له خذلانهم و تواطئهم مع النصارى لذاك كان لزاما مواجهتهم و إزاحتهم عن طريق الجهاد ، ونصرة الدين والمسلمين ، فأفتى له العلماء بجواز ذلك ، لأن ملوك الأندلس أصبحوا حجر عثرة في طريقه، حيث يقول ابن خلدون ((...وافتاه الفقهاء، وأهل الشورى من المغرب و الأندلس بخلعهم و انتزاع الأمر من أيديهم ، وصارت إليه بذلك فتاوى أهل الشرق والأعلام مثل الغزالي والطرطوشي [1]

وبدأ ابن تاشفين طريق الصراع معهم ، وكان هذا خلال جواز يوسف بن تاشفين الثالث سنة أربعمائة و ثلاثة وثمانين للهجرة483هـ/1090هـ، كما يذكر ابن بسام فيقول:"ولم يزل ادبارهم – على ما ذكرنا –يستشري و تقارب بعضهم إلى بعض يدب و يسري حتى أذن الله لأمير المسلمين – رحمه الله– في إفساد سعيهم ، وحسم أدواء بغيهم و الانتصار لكواف المسلمين من فعلهم الذميم ، ورأيهم فشرع في ذلك –على ما قمدته –سنة ثلاثة و ثمانين و أربعمائة ، فجعلت البلاد عليه تنثال و المنابر باسمه تزدهي و تختال ، واستمر ينثر نجومهم ن باقي سنة ثلاث و أربع بعدها " [2] و بدأ يوسف بن تاشفين بكسر شوكة ملوك الأندلس الجائرين و يقلم أظافرهم و كان الدور في بادئ الأمر على أمير غرناطة عبيد الله بن بلكين بن باديس، وأخاه تميما من مالقة ، بعد أن دخل الطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين فأمسك بهم وبعث بهما إلى المغرب عقابا لهم على ذلك . [3]

ولما سمع المعتمد ابن عباد و المتوكل ابن الأفطس بذلك قدما إلى يوسف بن تاشفين بغرناطة ، يهنئانه لما تهيأ له من ملك غرناطة ، فأعرض عنهما و انصرف إلى بلادهما ، وبذلك ندم ابن عباد على استدعاء يوسف بن تاشفين [4] .

---

[1] –ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص1649.

[2] – ابن بسام ، مصدر سابق ،ق3،مج1،ص94.

[3] – ابن خلدون ،مصدر السابق ،ص1649.

[4] – مجهول : مصدر سابق ،ص71.

وفي سنة اربعة وثمانين و أربعمائة هجرية 484هـ/1091م، جاء يوسف بن تاشفين إلى سبتة قادما من مراكش ليشرف على جواز العساكر اللمتونية إلى الأندلس لمواجهة ملوك الأندلس ، وكان يوسف بن تاشفين قد قدم ابن عمه الأمير سير ابي بكر على عسكره، وامره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية ، وأشار إليه ، أنه إذا انتهى من شان ابن عباد أن يتجه لبلاد المتوكل بن الافطس و لشبونة وشنترين ، وكل بلاد ابن الأفطس ، وقدم ابا عبد الله ابن الحاج على عسكر ثان ، وأمره بمواجهة الفتح الملقب بالمؤمون ، ولد المعتمد ابن عباد بقرطبة ، وقدم أبا زكريا بن واسينو على عسكر ثالث ، وأمره بمحاصرة المعتصم محمد بن معن بن صماد بألمرية[1] .

وقدم جؤذر الحشمي على العسكر الرابع و أمره بمواجهة يزيد الراضي ولد المعتمد بن عباد برندة[2] فجور العساكر و إتجه كل فريق إلى مكان أمرهم ، وبقى هو بسبتة مترصدا لأنبائهم .[3] سار الأمير سير بن أبي بكر إلى إشبيلية ، وكانت العلاقة قد ساءت بين يوسف بن تاشفين و المعتمد ابن عباد ، خاصة بعد أن لجأ الأخير إلى طلب مساعدة ألفونسو السادس ، فقد وقعت في يد يوسف بن تاشفين بعض المراسلات السرية بين المعتمد وألفونسو السادس مما أغضب يوسف بن تاشفين ، فشاور الفقهاء في أمره فأشاروا عليه بالاستيلاء على بلاده [4] .

راسل سير ابن أبي بكر المعتمد بن عباد من أجل أن يسلم إليه البلاد فامتنع ، فأخذ سير بن أبي بكر في حصاره و قتاله ، و أرسل قائده بطي إلى جيّان ، فحاصره ودخلها صلحا و أصبحت بيد المرابطين ، وأنبأ سير ابن ابي بكر يوسف بن تاشفين بالفتح و امر القائد بطي أن يترحل عن جيان ، ويسير إلى قرطبة ، فسار إلى قرطبة و كان بها المؤمون بن المعتمد فهاجمه بطي بعساكر

---

[1] – مجهول :نفسه ،ص72.

[2] – رندة : مدينة واقعة ألى الغرب من مالقة ، حيث تبعد عنها بنحو 96كلم و تبعد عن جبل طارق ب 108كلم و هي في شماله ، مجهول : المصدر نفسه ،هـ48،ص73.

[3] – مجهول ، نفس المصدر و الصفحة .

[4] – ابن بلكين ، المصدر السابق ،ص205.

المرابطين حتى فتحها ، وفتح حصونها ، وكان ذلك يوم الأربعاء الثالث من صفر سنة أربع و ثمانيين و أربعمائة 484هـ/(26 مارس 1091م) ، ثم فتح بيّاسة و وبذه ، وحصن البلاط و المدور[1] .

ثم ارتحل سير بن أبي بكر عن إشبيلية ، وسار إلى قرمونة و دخلها يوم السبت 17 ربيع الأول سنة(484هـ /10ماي 1091م) ، فطال الحصار على ابن عباد ، فبعث إلى ألفونسو السادس أخزاه الله يستغيث به ، ويستصرخه على لمتونة و يعده بإعطائه البلاد إن رفع عنه الحصار ، فأرسل إليه ألفونسو قائده القومس في جيش مكون من عشرين ألف فارس ، وأربعين ألف راجل ، فلما علم سير بقدوم الروم إليه اختار من جيشه عشرة ألاف فارس من أهل النجدة و الشجاعة ، وقدم عليهم إبراهيم بن إسحاق اللمتوني ، وبعثهم للقاء الروم ، والتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور ، فكانت بينهم حروب دموية مات فيها خلق كثير من المرابطين ، ومنحهم الله النصر و قتلوا الروم و لم ينجو منهم إلى القليل ، ولم يزل سير ابن أبي بكر و قواده بالحصار و التضييق على إشبيلية ، حتى دخلها على المعتمد فأمنه في نفسه و أهله وولده ، وبعث بهم إلى أمير المسلمين ، فكانوا عندهم بأغمات إلى أن أتاهم الموت [2] ، كما يورد ذلك ابن بسام ((ولما أفضت الحال بالمعتمد إلى الاعتقال ، و حبس بأغمات اعتلت بعض كرائمه))[3] ، وتملك المرابطون إشبيلية يوم الأحد الثاني و العشريين لرجب سنة أربع و ثمانين484هـ /سبتمبر 1091م[4] ، و هكذا انتهى عز المعتمد بن عباد كما يقول الشاعر :

((دعا لي بالبقاء و كيف يهوى ❁ أسير أن يطول به البقاء[5]

أليس الموت أروح من حياة ❁ يطول على الشقي بها الشقاء.))

---

1 – ابن ابي زرع :المصدر السابق ،ص155.

2 – نفسه ،ص156.

3 – ابن بسام ، المصدر السابق ،مج 1،ج2،ص227.

4 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص156.

5 – ابن بسام ، المصدر السابق ،ص227.

و في شعبان من سنة 484 هـ/1091م ملك المرابطون مدينة نبرة ، وفي شهر شوال دخل القائد يوسف داوود بن عكاشة مدينة مرسية و أنبأ يوسف بن تاشفين بالفتح ، ثم رحل داوود بن عائشة إلى ألمرية [1] ، وكان صاحب المرية المعتصم بن صماد مريضا ، فلما علم بقدوم المرابطين وحصارهم لمدينته اشتد عليه المرض ، ثم توفي و كان المعتصم حين حضرته الوفاة ، قد أوصى ولده وولى عهد معز الدولة أحمد بن المعتصم بالهروب إلى بني حماد و أصحاب بجاية و القلعة بالمغرب الأوسط ، واشترط عليه أن لا يفعل ذلك إلا بعد سقوط إشبيلية و خلع أميرها المعتمد ، فلما سقطت إشبيلية بدأ معز الدولة تنفيذ وصية والده ، فخرج مع أهله و أغراضه في إحدى السفن ، واعتمد على الحيلة و الدهاء ، واخبر أهل مدينته انه ذاهب للقاء أمير المسلمين ، وإعلان ولائه و طاعته له ، لكن بمجرد أن توسطت سفينته البحر ، اتجه صوب الجزائر ، فنزل على المنصور بن الناصر بن علناس صاحب قلعة بني حماد و الذي أكرمه ، وخيره في أقطار بلاده التي يحب أن يسكنها ، فاختار أن يقيم في مدينة تدلس الواقعة على البحر [2] .

واتجه سير بن أبي بكر إلى بطليوس و حاصرها و دخلها عنوة يوم السبت 07 صفر سنة 487 هـ/1094م و قبض على المتوكل فقيد وأهين بالضرب و قتل هو وأبناؤه [3] .

ثم أمر يوسف بن تاشفين قائده داوود بن عائشة ان يتجه إلى دانية فسار إليها فملكها[4]، وملك شاطبة وكان صاحبها ابن منقذ ففر عنها و دخلها المرابطون ثم سار قائده ابن عائشة إلى شقورة فملكها ، وكان مصير ابن ذي النون كسائر ملوك الأندلس وقتل على يد المرابطين ، وذلك خلال حصارهم بلنسية و ذلك ما أشرنا إليه في الفصل الثاني في المبحث الثالث في صراع المرابطين مع النصارى و هناك التفاصيل .

---

[1] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص156.

[2] – ابن بلكين ، المصدر السابق ،ص 203،204.

[3] – ابن الأبار ، المصدر السابق ،ص103

[4] – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص157.

و لم يبقى من ملوك الأندلس سوى ولاية بني هود لأن المستعين بالله أبا جعفر أقام بشرق الأندلس ، وكان بيده عمالة الثغر الأعلى سرقسطة و غيرها فحصن بلاده و لم يداخل الروم و كان يهادئ أمير المسلمين ويراسله [1] .

وبالقضاء على ملوك الأندلس كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قد جعل الأندلس ولاية مرابطية تابعة لمراكش بالمغرب ، وينتهي صراع المرابطين مع ملوك الطوائف الجائريين ، وأصبحت الأندلس في قبضة المرابطين و يتواصل صراع المرابطين مع من خالفهم و حاول إزالتهم .

[1] – مجهول ، المصدر السابق ،ص74،73.

خاتمـة :

بعد دراستنا لموضوع الصراع المرابطي مع القوى السياسية من خلال كتاب " الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، استنتجنا مايلي :

– المربطون هم قبائل بدوية صنهاجية نزحت من اليمن و تركزت في الصحراء المغربية المجاورة للمحيط الأطلسي ، إ اعتمدوا حياة الرعي، و كانوا يجهلون الحرث و الزرع ، وعرفوا الديانة المجوسية إلى أن فقههم عبد الله ابن ياسين ، إمامهم في الدين ، وأقام رباطه المشهور ، وبدا الجمع يكبر حتى أطلق عليهم أسم " المرابطون " ، ومن هنا بدأت بوادر الدولة المرابطية في الظهور ، ونضجت الدولة المرابطية على يد القائد الروحي عبد الله ابن ياسين ، والقائد السياسي يحي ابن إبراهيم الجدالي .

– في بادئ الحركة المرابطية كان صراع المرابطين مع القبائل البربرية ، حيث اقتفوا أثر هذه القبائل المتغلب على المغرب ، وتمكن يوسف بن تاشفين من تمهيد المغرب تحت لواءه.

– تمكن يوسف بن تاشفين من نصرة الدين و إنقاذ إخوانه المستضعفين في الأندلس بعد استصراخ ملوك الطوائف له كونهم أصبحوا فريسة سهلة للنصارى على حساب بعضهم البعض ، فكان سوء المآل .

– جاز يوسف بن تاشفين البحر للأندلس فواجه القوى النصرانية منهم الفونسو السادس ، وقائده السيد الكومبيطور ، وكان النصر المؤزر يوم الجمعة في سهل الزلاقة سنة 479هـ/1086م، ونصر الله الدين و أذل المشركين .

– جواز يوسف بن تاشفين الثاني للأندلس أعطاه فكرة أن ملوك الطوائف متواطئون مع النصارى ، فكان لزاما استئصالهم ، وذلك بعد إفتاء العلماء بذلك لأنهم عائق في طريق الجهاد ، وحدث ذلك خلال جوازه الثالث للأندلس .

– بعد الجواز الرابع أخذ يوسف بن تاشفين البيعة لابنه علي الذي واصل نهج أبيه في صراعه مع القوى النصرانية .

– صعود يوسف بن تاشفين للأندلس كان بغرض الجهاد ، ولم يكن هدفه ماديا ، ودليل ذلك انه بعد نصر الزلاقة ترك الغنائم لملوك الطوائف و رجع للمغرب .

– تكمن يوسف بن تاشفين بعد مواجهة ملوك الأندلس و القضاء عليهم من توحيد المغرب و الأندلس تحت راية الدولة المرابطية .

– صراع المرابطين مع الزعامات السياسية في المغرب و الأندلس أكد عزم الدولة على نصرة الدين ، ونشر الثقافة و الحضارة العربية الإسلامية و إقامة دولة سنية مالكية .

– صراع المرابطين مع النصارى كان يندرج ضمن الحروب الصليبية في المغرب الذي تساندها البابوية .

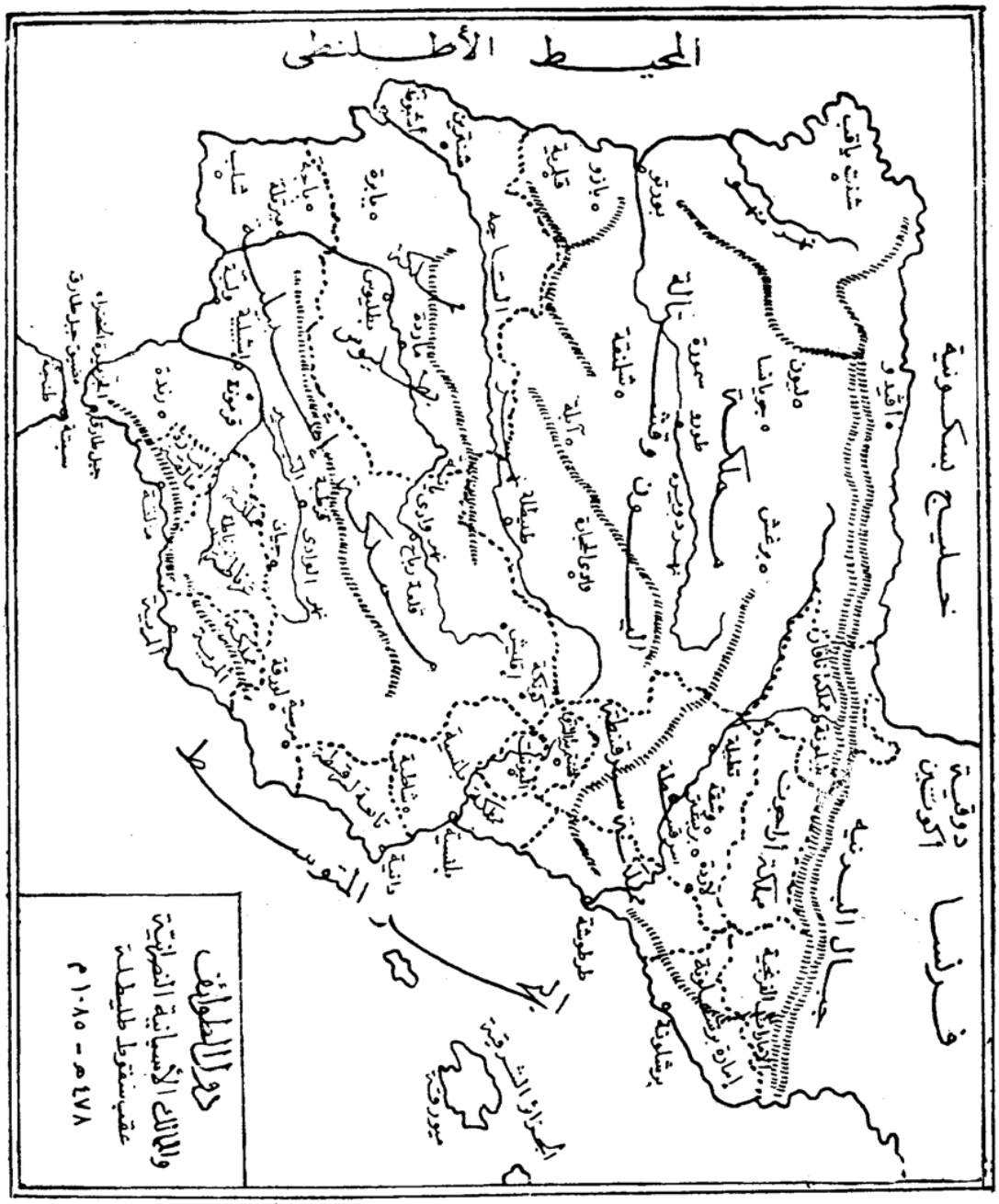
– مما سبق يتبين لنا أن ابن بسام في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " أطلعنا إلى حد ما على هذا الصراع الدائر مع القوى السياسية، ولو بشكل عام في حديثه عن الصراع المرابطي مع بعض القوى السياسية ، وبطابع أدبي ورسم لنا الشنتريني صورة عن الصراع المرابطي مع النصارى و البربر و ملوك الطوائف .

– و يبقى هذا الموضوع الصراع المرابطي مع القوى السياسية حقلا خصبا للدراسة و الإثراء ، وذلك من خلال التطرق لقوى سياسية أخرى واجهها المرابطون ،و اعتماد مصادر أخرى تلقي أضواء على هذه القوى السياسية .

قائمة الملاحق

ملحق رقم (01) :

– دول الطوائف و الممالك الاسبانية النصرانية عقب سقوط طليطلة[1]



[1] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 17.

ملحق رقم 02:

- **دول الطوائف و الممالك الاسبانية النصرانية عقب انهيار الخلافة[2] .**



[2] المرجع نفسه ص 27.

قائمة المصادر والمراجع

أ- قائمة المصادر

- القرآن الكريم .

1- ابن أبي دينار (أبي عبد الله الشيخ ،محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) : المؤنس في أخبار أفريقيا و تونس ،طبعته الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، ط1، 1986م.

2- ابن أبي زرع أبو الحسن علي ابن عبد الله (726هـ/1326م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ دولة فاس ،تح ، دار المنصور ، صور للطباعة ، الرباط ، د ط ،1972.

3- ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ط1، د-س-ن.

4- ابن الأحمر ،(إسماعيل ابن الأحمر) :بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ،الرباط 1972 ..

5- ابن بسام الشنتريني ، أبو الحسن علي الشنتريني (542هـ/1050م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق1، مج1 ، تح احسان عباس (د ، ط) دار الثقافة بيروت ،1998 .

6- إبن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي) : صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د ط ،1979.

7- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن أبو زيد (808هـ/1405م) العبر ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت 2000.

8- ابن خلكان " أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681 هـ/1282م) وفيات الأعيان ، ج3 ، تح احسان عباس ، دار صادر بيروت 1978.

9- ابن سعيد : أبو الحسن علي بن موسى المغربي (685هـ/1286م) المغرب في خلى المغرب ، ج 1 و 2 ، تر شوقي الضيف ،ط4،دار المعارف ، القاهرة 2009.

10- ابن عذاري المراكشي أبو أحمد المراكشي ، كان حيا سنة(712هـ/1312م)، البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تح إحسان عباس ،دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ،ج4

11- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح ،جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ،ج2 .

12- أبي الحسن بن سعيد: راية المبرزين وغاية المميزين، تح: محمد رضا الداية، دار طلاس، ط1، دمشق، 1987.

13- الادريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، ابن ادريس حمودي المعروف بالشريف:الادريس (560هـ -1066م) : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،د ط، ج2 ،مكتبة الثقافة الدينية ،

القاهرة 2002 .

14- البكري : (أبي عبيد البكري) : المغرب في ذكرى بلاء افريقية والمغرب ،دار الكتاب الإسلامي للنشر ، القاهرة (د. ت).

15- حسن الوزان أو الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر ، محمد حجي و أخرون ،دار الفكر الاسلامي بيروت ،ط2، ،1983ج 2و1 .

16- الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (626هـ/1228م) معجم الأدباء ،ج4 ، ط1 ، تح أحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993.

17- عبد الله بن بلكين: تبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري بغرناطة، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1427هـ/2006م.

18- لسان الدين ابن الخطيب (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي(776هـ/1774م) ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، دار الكتب العلمية دون طبعة، ج2، بيروت لبنان .

19- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1399هـ/1979م.

20- المقري أبو العباس شهاب الدين: نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيره لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، ط1، 1988، د-د-ن، بيروت، ج1.

ب- قائمة المراجع :

1- ابراهيم القادري بوتشيش ، المغرب و لأندلس في عصر المرابطين ، ط 1،دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ،1993.

2- آنخل جنثالث بالانثيا: تاريخ الفكر الإسلامي، تح: حسين مؤنس، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

3- بوتشيش (إبراهيم القادري بوتشيش) :المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، نقلا عن عياض و المراكشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ،بيروت ، لبنان 1993

4- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، ط1 ، مكتبة الخانجى ، مصر ، 1970 .

5- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد ، ط 5 ،1421 هـ-2000م القاهرة .

6- حمدي عبد المنعم : التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، سنة 1997 ، نقلا عن ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء .

7- حمدي عبد المنعم ، التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين (د.ط)دار المعرفة الجامعية 1997

8- شوقي أبو خليل ، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ، (د، ط) دار الفكر دمشق 1993.

9- شوقي الضيف ، عصر الدول و مارات الأندلس (د، ط) دار المعارف ، القاهرة 1989

10- عباس احسان ، الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ط2 ، دار الثقافة بيروت 1969.

11- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي بالأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2.

12- علي بن محمد ، ابن بسام الاندلسي و كتاب الذخيرة ، دراسة في حياة الرجل و أهم جوانب الكتاب ،د ط ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989م.

13- عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ،دول الطوائف ،ج 2 ، الطبعة 2 ،دار سحنون للنشر و التوزيع 1990.

14- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تح: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ج6.

15- محمد رضوان الداية ، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ط 2 ، مؤسسة الرسالة ، 1981.

16- محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1970.

17- محمد علي الصلابي ، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين ، ط1 ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، القاهرة 2003 .
18- مكي الطاهر ، دراسة في مصار الأدب ،ج1 ،ط 2 ، دار المعارف ،مصر 1970.
19- هنري بيرين: الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، تر: أحمد مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1988.
20- يوسف أشباخ ، الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،تح محمد عبدالله عنان جزء 1 ، المركز القومي للترجمة ط2014 .

المجلات :

1-أمين توفيق الطيبي ، ابن بسام وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، مجلة الحياة الدولية عدد:12838 تاريخ النشر 1998.

فهرس الموضوعات:

فهرس الموضوعات

– البسملة	
– الشكر	
– الإهداء	
–مقدمة	01
المبحث الأول : تعريف الكاتب والكتاب .	07
1. التعريف بالكاتب .	08
2. التعريف بالكتاب .	13
3. منهجه .	15
المبحث الثاني: الصراع المرابطي و القوى السياسية في المغرب .	20
1. دولة المرابطين	21
2. إعلان قيام الدولة المرابطية	23
3. النزاع المرابطي البربري .	26
المبحث الثالث: الصراع المرابطي و القوى السياسية في الأندلس .	40
1. الأوضاع العامة في الأندلس قبل مجيء المرابطين .	41
2. النزاع المرابطي النصراني .	44
3. النزاع المرابطي و ملوك الطوائف.	62
–خاتمة	67
–الملاحق	70
–قائمة المصادر والمراجع	73
–الفهرس	78